# الفصل الأول

## علم المعاني في تفسير السَّمين الحلبي

علم المعاني من علوم البلاغة التي تناولها البلاغيون بالدراسة والتحليل، وهو نوع أشار إليه المصنفون القدماء، وأهم ما يميز هذا العلم ارتباطه بالنظم النحوي، فالجاحظ يقول: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنَّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر الألفاظ، وسهولة المخرج، وصحَّة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السَّبك»[1].

وكلام الجاحظ تلخيص موجز لعلم المعاني يعطي للدارس الخيوط الأولى للفهم الدقيق لعلم المعاني المعتمد على طريقة سبك الكلام.

وجاء الجرجاني فوضع نظرية النظم التي قال فيها: «إنَّ النَّظمَ ليس شيئاً غير توخِّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكَلِمِ»[2]، ويقول: «وهل تجد أحد يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلاَّ هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها»[3].

وبوساطة نظرية النظم تعددت موضوعات علم المعاني مثل: الفصل والوصل، وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإضمار، والخبر والإنشاء... وهذه تقسيمات السكاكي الذي جاء بعد الجرجاني. وهذه المباحث درسها المفسرون في تفاسيرهم كالزمخشري

---

(١) الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢.

(٢) دلائل الإعجاز، ص٤٥.

(٣) أسرار البلاغة: ٧٩.

والقرطبي وأبي حيان ومفسرنا السَّمين الحلبي تناول هذه المباحث بالتوسع نظراً لاتساع علم المعاني في كتب البلاغة والتفسير عند العلماء الذين سبقوه.

وعلم المعاني عرّفه البلاغيون بقولهم: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[1].

أي: هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ مثل التعريف والتنكير والإظهار والإطناب...، وغير ذلك ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس. ولم تأتِ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة وهذه الأحوال هي الهيئات والكيفيات.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٥٨، والإيضاح: ١٢/١، وخصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص٤٢.

# المبحث الأول

## الخبر والإنشاء

◈ **الخبــر:**

**الخبر (لغةً)**: خبرت بالأمر أي: علمته، وخبرت الأمر أخبرهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبرُ بالتحريك واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عما تستخبر[1].

**الخبر (اصطلاحاً)**: من أقدم النحويين الذين عرفوا الخبر المبرد؛ إذ قال: «الخبر ما جاز على قائلهِ التصديق والتكذيب»[2].

وأوضح ابن فارس الفرق في تعريف الخبر بين أهل اللغة وأهل البلاغة فأهل اللغة لا ينظرون إلى الخبر إلاَّ بوصفه إعلاماً للآخرين أما أهل النظر فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب، يقول ابن فارس: «أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام... والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم»[3].

وعوَّل القزويني على آراء القدماء وبيَّن معنى الصدق والكذب في الخبر فقال: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنَّه منحصر فيهما ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقُهُ مطابقة حكمه

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (خبر).

(٢) المقتضب: ٨٩/٣.

(٣) الصاحبي، ص١٧٩.

للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا هو المشهور وعليه التعويل»[1].

وقد استنبط البلاغيون من أسلوب الكلام ثلاثة أنواع للخبر فإن جاءت الجملة الخبرية خالية من المؤكدات سمي الخبر ابتدائياً، وإذا أكدت الجملة بمؤكد واحد كان الخبر طلبياً، وإن أكدت الجملة بمؤكدين أو أكثر كان الخبر إنكارياً ويبدو أنَّ علة التسمية نابعة من (حال المخاطب) إنْ كان (خالي الذهن من الحكم) أو (متردداً فيه) أو (منكراً له)، وعليه فالخبر ثلاثة أنواع[2]، ذكرها مفسرنا السَّمين الحلبي بقوله: «قال أهل البيان: الإخبار ثلاثة أقسام: ابتدائي وطلبي وإنكاري، **فالأول**: يقال لمن يتردد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر نحو: زيد عارف. **والثاني**: لمن هو مُتَرَدَّدٌ في ذلك طالبٌ له بعض إنكار فيقال له: إنَّ زيداً عارف. **والثالث**: لمن يُبَالِغُ في إنكاره فيقال له: إنَّ زيداً لعارفٌ. ومن أحسن ما يُحكى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس الكندي فقال: إني أجد في كلام العرب حَشواً قال: وما ذاك؟! قال: يقولون زيد قائم، وإنَّ زيداً لقائم فقال: كلا. بل المعاني مختلفة، فعبد الله قائم إخباره بقيامه وإنَّ عبد الله قائم جواب لسؤال سائلٍ وإنَّ عبد الله لَقائمٌ جوابٌ عن إنكار منكرٍ...»[3].

### ◈ أغراض الخبر[4]:

للجملة الخبرية غرضان أساسيان وُضِعا باعتبار المخاطب أو المتلقي وهما:

**فائدة الخبر**: ومعناه أنْ تفيد الجملة المخاطبة المعنى الذي تحمله؛ لأنَّ

---

(١) الإيضاح: ٨٦/١، والتلخيص، ص٣٨.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٩/٢.

(٣) الدر المصون: ٤٧٨/٥.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٨/٢.

المتلقي لا يعرف بالحكم نحو (زيد قائم) لمن لا يعرف.

**لازم الفائدة:** ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة أنَّ المتكلم عالم نحو: أنتَ جِئتَ: لمن قام بالمجيء.

ولكن الخبر يخرج عن ظاهر معناه إلى معانٍ باعتبار حال المتكلم وفعل المخاطب فالسبب مرتبط بالنتيجة، والسبب هو فعل المخاطب الذي أدى إلى نتيجة الخبر، فقد يخرج الخبر بلاغياً إلى معانٍ مجازيَّة تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وقد ذكر السَّمين الحلبي بعض هذه الأغراض في تفسيره منها:

**١- الخبر للتهكم:**

ذكر السَّمين الحلبي في تفسيره أمثلة خروج عن معناه الحقيقي إلى معنى التهكم مجازاً، فمن أمثلة ذلك ما قاله في قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]، فقال: «وهذا الكلامُ على سبيل التهكم وهو أغيَظُ للمستهزَأُ به، ومثله قول جرير لشاعر تَسمَّى زَهْرَةَ اليَمَنِ:

أَلَمْ تَكُنْ في وُسُومٍ قد وَسَمَتُ ... من كان موعظةً يا زَهْرَةَ اليَمَنِ[1]

وكان هذا الشاعر قد قال:

أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها ... إني الأعز وإني زهرة اليمن[2]»[3]

وحمل الزمخشري هذه الآية الكريمة على الاستهزاء والتهكم قائلاً:

---

(١) ديوانه، ص٥٦٩، وروايته فيه:

ألم يكن في وسومٍ قد وَسَمتْ بهـا ... من حان موعظةً يا حارثَ اليمنِ

(٢) لم أعثر على قائله.

(٣) الدر المصون: ١١٨/٦.

«يقال: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه»[1]، وحملها ابن جزي على التوبيخ والتهكم فقال: «يُقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به أي: كنت العزيز الكريم عند نفسك»[2]، وحملها بعضهم على الإنكار والتبكيت[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وتجعلون رزقكم» فيه أوجه: أحدها: أنَّه على التهكم بهم؛ لأنَّهم وضعوا الشيء غير موضعه. كقولك: شتمني حيث أحسنت إليه. أي: عكس قضية الإحسان ومنه:

مَكانُ شُكْرِ القَومِ عِندَ المِـــنن كَيَّ الصَّحِيحَاتِ وَفَقْءُ الأعيْنِ[4]

أي: شكر رزقكم تكذيبكم»[5]

وذهب الآلوسي إلى معنى التبكيت في الخبر[6].

**٢- الخبر للتوكيد:**

ويأتي الخبر ليؤدي معنى التوكيد، ومنه قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «إنَّ الخبر بعد «نحن» أتى به على سبيل التوكيد، إذ لو قال أم نحن لاكتفي به دون الخبر، ونظير

---

(١) الكشاف: ٥٠٧/٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٧/٤.

(٣) ينظر: الصاحبي، ص١٨٠، والبرهان، ص٥١٢.

(٤) لم أعثر على قائله.

(٥) الدر المصون: ٢٦٩/٦.

(٦) ينظر: روح المعاني: ١٥٧/٢٧.

ذلك جواب من قال: من في الدار؟ زيد في الدار أو زيد فيها، ولو اقتصر على زيد لكان كافياً»[1].

وهذا رأي أبي حيان وأبي السعود[2].

**٣- الخبر للتبعيض:**

ويأتي الخبر للتبعيض وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، قال السَّمين الحلبي: «... وقد سأل سائل فقال: الخبر لابد أن يفيد غير ما أفاد المبتدأ... وأجيب عن ذلك: بأنَّ هذا تفصيل معنوي، لأنَّه تقدم ذكر المؤمنين، ثم ذكر الكافرين ثم عَقَّب بذكر المنافقين، فصار نظير التفصيل اللفظي نحو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٤]، و﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾ [لقمان: من الآية ٦]، فهو في قوة تفصيل الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق، وأحسن من هذا أن يقال: إنَّ الخبر أفاد التبعيض المقصود، لأنَّ الناس كلهم لم يقولوا ذلك، وهم غير مؤمنين فصار التقدير: وبعض الناس يقول كيت وكيت»[3].

وهذا رأي أبي حيان[4].

**٤- الخبر بمعنى الأمر:**

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٨]، قال السَّمين الحلبي في معرض تفسيره للآية: «قوله تعالى:

---

(١) الدر المصون: ٢٦٣/٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢١٠/٨، وإرشاد العقل السليم: ١٩٧/٨.

(٣) الدر المصون: ١١٢/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٨٢/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٣٠/١.

«والمطلقات يتربصن» مبتدأ وخبر، وهل هذه الجملة من باب الخبر الواقع موقع الأمر أي: ليتربصن، أو على بابها قولان. وقال الكوفيون: إنَّ لفظَها أمرٌ على تقدير لام الأمر، ومَنْ جَعَلَها على بابها قَدَّر: وحكمُ المطلقات أن يتربَّصنَ، فَحذَفَ «حكم» من الأول و«أنَّ» المصدرية من الثاني، وهو بعيدٌ جداً»[1]، فالظاهر أنَّه يرجح أن الخبر بمعنى الأمر. وهذا المعنى قال به أكثر العلماء[2].

**٥- الخبر بمعنى النهي:**

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «لا تضار» ابنُ كثير وأبو عمرو: «لا تضارُ» برفع الراء مشددةً، وتوجيهها واضحُ، لأنَّه فعلٌ مضارعٌ لم يدخل عليه ناصبٌ ولا جازم فَرُفِعَ، وهذه القراءة مناسبة لما قَبلَها من حيث أنَّه عَطفَ جملة خبرية على خبرية لفظاً نَهْيِيَّةٌ معنى، ويدل عليه قراءة السابقين»[3].

وهذه القراءة يؤكدها النحاس بقوله: «وقرأ أبو عمرو وابن كثير لا تضار والدة بالرفع على الخبر الذي فيه معنى الإلزام»[4] وجعله بمعنى النهي وهذا المعنى ذهب إليه أكثر العلماء[5].

---

(١) الدر المصون: ٥٥٣/١.

(٢) ينظر: لباب التأويل: ٢٣٩/١، ومدارك التنزيل: ١١٩/١، وأنوار التنزيل: ٥٢٤/١، والبحر المحيط: ١٨٥/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٢٦٩/١، والبرهان، ص٥١٢، والإتقان: ١٩٣/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٨١/١، وروح المعاني: ١٣١/٢.

(٣) الدر المصون: ٥٧١/١، ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٦٠/٢.

(٤) معاني القرآن: ٢١٧/١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٠٢/١، ومدارك التنزيل: ١١٣/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٦/١، والبحر المحيط: ٢٢٥/٢.

## ◈ الإنشـــاء:

**الإنشاء (لغة)**: هو الابتداء أو الخلق أو الابتداع [1].

**الإنشاء (اصطلاحاً)**: هو كلّ كلام لا يحتمل الصدّق والكذب، لأنّه نابع من الشعور والإحساس الداخلي للإنسان، ويعتمد على دفقات شعورية لا يمكن تكذيبها، وقد عللّ البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء؛ لأنّه يدلّ على حدث لم يقع من قبل. وفرقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك.

فالقزويني يقول: «ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء؛ لأنَّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج. الأوّل: الخبر، والثاني: الإنشاء » [2].

وينقسم الإنشاء على قسمين: طلبي وغير طلبي.

أما **الطلبي**: فهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، نحو: اعمل خيراً.

**والغير الطلبي**: هو ما لا يستدعي مطلوباً نحو: أكلت وشربت، ونعم الطالب زيد، وللإنشاء غير الطلبي صيغ كثيرة، كأفعال المدح والذم كنعم وبئس، وكفعلي التعجب وكأفعال المقاربة: عسى واخلولق، وكصيغ العقود: كـــ(بعت واشتريت)، والقسم. واستبعد البلاغيون هذا النوع من مباحث علم المعاني؛ لأنّ تلك الأساليب أخباراً نقلت إلى الإنشاء.

---

(١) لسان العرب: مادة (نشأ).

(٢) الايضاح: ٨٥/١، والتلخيص: ص ١٥١، والطراز: ٦١/١.

قال التفتازاني: «فالإنشاء إنْ لم يكن طلباً كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم وربّ ونحو ذلك، فلا يبحث عنها ههنا، لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها أو لأنّ أكثرها في الأصل أخباراً نقلت إلى معنى الإنشاء»[1].

والمراد بقوله (أكثرها) أن أغلب الإنشاء غير الطلبي خبر، وهنا يستثنى أفعال الرجاء والقسم، ولقلة المعاني المجازية المتعلقة بها، بعكس مباحث (الإنشاء الطلبي).

وعليه سيقتصر بحثي في الإنشاء الطلبي الكائن في خمسة أساليب:

الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

ونتعرف الآن على أنواع الإنشاء الطلبي الواردة في تفسير السَّمين الحلبي، فكلّما وردت آية حملت نكتة بلاغية أشار إليها وفسر مقتضاها البلاغي، وما يخرج إليها من مقاصد بلاغية، وإليك التفصيل:

**◈ أولاً: الأمر:**

الأمر في البلاغة: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، قال العلوي: «هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[2]. وعرف السَّمين الحلبي الأمر بأنَّه: «طلب الأعلى من الأدنى»[3].

وللأمر أربع صيغ هي:

---

(١) تهذيب السعد: ٢٩/٣.

(٢) الطراز: ٢٨١/٣.

(٣) الدر المصون: ١٦٩/١، وينظر: ٥٠٨/٣.

١- فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

٢- المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ [الطلاق: ٧].

٣- اسم فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٥].

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقد يخرج الأمر إلى أغراض بلاغية تعرف دلالتها من سياق الكلام، ومن تلك الأغراض الواردة في تفسير الدُّر المصون:

**١- الأمر للدعاء:**

يأتي فعل الأمر على سبيل التضرُّع وطلب الحاجة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، قال السَّمين الحلبي: «اهْدِ: صيغة أمر ومعناه الدعاء»[(١)].

وأضاف قائلاً في هذا الموضع: «إن وردت صيغة إفعل من الأعلى للأدنى قيل فيها أمر وبالعكس دعاء، ومن المساوي التماس»[(٢)].

وذهب ابن عادل الدمشقي إلى معنى الدعاء في الأمر قائلاً: «اهْدِ: صيغة

---

(١) المصدر نفسه: ١/٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ١/٧٧.

أمر، ومعناه الدعاء»[1]. وذكر القرطبي معنى الدعاء و لم يذكر الأمر[2].

**٢- الأمر للتعجيز:**

ويأتي الأمر على سبيل التعجيز بأمر المخاطب على فعل أمر لا يمكن أن يصل إليه مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: من الآية ٣٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «أروني» أمر تعجيزٍ»[3].

وهذا ما ذهب إليه الرازي قائلاً: «أروني» أمر تعجيز للتبيين[4].

**٣- الأمر للتهديد:**

أي: التخويف وهو أعم من الإنذار؛ لأنَّه إبلاغ مع التخويف ومنه قوله تعالى: ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٤]، فقد جَوَّزَ السَّمين الحلبي أن تكون اللام الواردة في قوله: «ليكفروا» هي لام الأمر قائلاً: «قوله: «ليكفروا» يجوز أن تكون لام كَيْ وأن تكون لام الأمر ومعناه التهديد»[5].

وقال ابن جزي: «اللام لام كي وجه التهديد لقوله بعده: «فتمتعوا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب: ٢٠٣/١، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٧/١، وروح البيان: ١٤/١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٧/١.

(٣) الدر المصون: ٤٧١/٥.

(٤) التفسير الكبير: ٢٩/٢٦.

(٥) الدر المصون: ٣٧٩/٥.

فسوف تعلمون»[1]، وعليه فقد ذكر أكثر العلماء غرض التهديد في الأمر[2]. وذهب الفراء أن الأمر للتوبيخ[3].

**٤- الأمر للتعجب:**

ويأتي الأمر للتعجب ومنه قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أسمع بهم وأبصر» هذا لفظ أمر، ومعناه التعجب»[4].

وهذا ما ذكره النسفي بقوله: «الجمهور على إنَّ لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكنَّ المراد أنَّ إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صماً وعمياً في الدنيا»[5]، وهذا كما ذكر النسفي رأي أكثر العلماء[6].

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل: ٧٤/٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٦١/٧، ومعاني القرآن للنحاس: ٢٦٢/٥، وأنوار التنزيل: ٣٣٦/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٣٣/١٤، ومدارك التنزيل: ٢٦٥/٣، وتفسير الجلالين: ٥٣٥/١، وتفسير السراج المنير: ١٥٢/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن: ٢٩٣/٣.

(٤) الدر المصون: ٥٠٧/٤.

(٥) مدارك التنزيل: ٣٧/٣.

(٦) ينظر: الكشاف: ١٩/٣، والتفسير الكبير: ١٨٩/٢١، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٥، وأنوار التنزيل: ١٦/٤، والكشف والبيان: ٢١٦/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٦٨/١٣.

**٥- الأمر للتوبيخ والتهديد:**

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٩]، قال السَّمين الحلبي مُحللاً للآية الكريمة ما نصه: «وقوله: «موتوا» أمر ومعناه الدعاء، وقيل: معناه الخبر أي: إنَّ الأمر كذلك، وقد قال بعضهم: إنَّه لا يجوز أن يكون بمعنى الدعاء؛ لأنَّه لو أمره بأن يدعو عليهم بذلك لماتوا جميعاً على هذه الصفة فإنَّ دعوته لا تُرَدُّ، قد آمن منهم كثيرون بعد هذه الآية، ولا يجوز أن يكونَ بمعنى الخبر؛ لأنَّه لو كان خبراً لوقع على حكم ما أخبرَ و لم يؤمِنْ أحدٌ بعدُ، وإذا انتفى هذان المعنيان فلم يبقَ إلاَّ أن يكون معناه التوبيخ والتهديد، ومثله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: من الآية ٤٠]، «إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت»[(١)]. وهذا الذي قاله ليس بشيء؛ لأنَّ مَنْ آمن منهم لم يدخل تحت الدعاء إنْ قصد به الدعاء، ولا تحت الخبر إنْ قَصَدَ به الإخبار»[(٢)].

فقد ذكر الحلبي الأقوال الواردة في الآية الكريمة محللاً كل قول منها وصولاً إلى الرأي الأقرب إلى الصواب وذلك بالاعتماد على سياق الآية الكريمة، هذا يُبين لنا مقدرته العلمية وسعة معرفته.

وهذا رأي أبو حيان كذلك[(٣)]، وذكر باقي المفسرين أنَّه بمعنى الدعاء[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب (الأدب)، باب (إذا لم تستح فاصنع ما شئت): ٥٧٦٩: ٢٢٦٨/٥.

(٢) الدر المصون: ١٩٨/٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٤/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٩٩/٥.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٥٤/٧، والكشاف: ٤٣٥/١، والتفسير الكبير: ١٧٦/٨، ومدارك التنزيل: ١٧٥/١، وأنوار التنزيل: ٨٥/٢، والوجيز: ٢٢٩/١، وإرشاد العقل السليم: ٧٦/٢.

**٦- الأمر للوعيد والتهديد:**

ومنه قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، قال السَّمين الحلبي: «وقال الشيخ: ولا يتعين ما ذكره المعربون والمفسرون من أن اللام لام (كي) أو لام الصيرورة، بل الظاهر أنَّها لام الأمر، والفعل مجزوم بها، ويؤيد قراءة من سكن اللام والمعنى عليه متمكن، كأنَّه قيل: وكذلك نُصَرِّفُ الآياتِ، ولِيَقُولُوا هم ما يقولون من كونها دَرَسْتَهَا وتعلمتها، أو دَرَسَتْ هي، أي: بَلِيَتْ وقدمت، فإنَّه لا يحتفل بهم، ولا يلتفت إلى قولهم وهو أمر معناه الوعيد والتهديد، وعدم الاكتراث بقولهم، أي: نُصرِّفها وليدْعوا فيها ما شاءُوا، فإنَّه لا اكتراث بدعواهم»[(١)].

وهذا رأي أبو السعود الذي قال: «وهذا أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم»[(٢)]. وذهب ابن عطية إلى القول بأنَّ الأمر يتضمن التوبيخ والوعيد[(٣)]. وذكر الواحدي أنَّ اللام بمعنى العاقبة.

**٧- الأمر في معنى الخبر:**

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: من الآية ٣٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: فليُلقه في اليم» هذا أمر معناه الخبر»[(٤)].

---

(١) الدر المصون: ٣/١٥٠، وينظر: البحر المحيط: ٤/٢٠١.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٣/١٧٠.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٣٩١.

(٤) الدر المصون: ٥/٢٠.

وهذا رأي أغلب العلماء المفسرين[1].

وجاء هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[2].

**٨- الأمر في معنى النهي:**

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣]، قال السَّمين الحلبي: «فيكون قد عطف ما هو بمعنى الأمر على نهي»[3].

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان[4].

**◈ ثانياً: النهي:**

وهو طلب الكفّ عن الفعل، استعلاءً، قال السكاكي: «للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر في أنَّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلاَّ أفاد طلب الترك فحسب»[5]. فالوجوب والإلزام شرطان يلازمان أسلوب النهي، ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما يُنهى عنه. والسكاكي يوازن بين أسلوب الأمر، وأسلوب النهي فيرى أنَّ

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز:٥٦/٤، ومعالم التنزيل: ٢٧٢/٥، والكشف والبيان: ٢٤٤/٦، ومدارك التنزيل: ٥٤/٣، والبحر المحيط: ٢٢٦/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٢٣٥/١٣، وتفسير السراج المنير: ٣٦٣/٢.

(٢) ينظر: الدر المصون: ١٨٩/٤، و٤٤٨/٤، و٥٢١/٤.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٢/٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٦١٤/٢، والبحر المحيط: ٢٠/٦.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٥٢-١٥٣.

الأسلوبين يشتركان في اعتبار الاستعلاء والأخير، ونقصد بالآخر أنَّ الأمر والنهي يقصدان الآخر فلا يمكن لإنسان أن ينهي نفسه أو يأمرها.

أما وجه الخلاف بين الأسلوبين فهو أنَّ لكل منهما صيغة خاصة به «الأمر دال على الطلب، والنهي دال على المنع، وأنَّ الأمر لابدَّ من إرادة مأمورة، وأن النهي لابُدَّ فيه من كراهية منهية»[1].

وقد عرف السَّمين الحلبي النهي بأنَّه: «طلب ترك أو كف»[2]، وذكر في تفسيره بعضاً من المعاني المجازية التي يخرج إليها النهي وهي:

**١- النهي للدعاء:**

تأتي صيغة النهي للدعاء من الأدنى إلى الأعلى كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: من الآية ٨]، قال السَّمين الحلبي: «والنهيُ في اللفظ للقلوب، وفي المعنى دعاءٌ لله تعالى، أي: لا تُزِغْ قلوبَنا فَتَزيغَ»[3].

وهذا ما ذكره أبو حيان وغيره[4].

**٢- النهي للإلهاب والتهييج:**

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠]، قال السَّمين الحلبي: «والنهي له عليه السلام عن الامتراءِ، ولم يكن ممترياً، وهذا من

---

(١) الطراز: ٢٨٥/٣.

(٢) الدر المصون: ٥٠٨/٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٦/٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٠٣/٢، والإتقان: ٢٠٧/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٢/٥.

الإلهاب والتهييج على الثبات على ما هو عليه من الحق، أو لأنَّ المراد به غيره»[1].

وهذا رأي أبو السعود الذي قال: «والخطاب إما للنبي على طريقة الإلهاب والتهييج لزيادة التثبيت والإشعار بأنَّ الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء، وإما لكل من له صلاحية الخطاب»[2]، وهذا رأي أكثر المفسرين[3].

**٣- النهي للإباحة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي في بيان الآية الكريمة مستعيناً بأقوال العلماء ما نصه: «الأول: ويؤول المعنى إلى تقدير ولا تطع منهما آثماً ولا كفوراً. وقال الزمخشري: فإن قلت معنى (أو) ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهياً عن طاعتهما جميعاً. قلت: لو قيل لا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما، وإذا قيل: لا تطع أحدهما؛ علم أنَّ الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعاً أنهى. كما إذا نهى أن يقول لأبويه أفٍّ علم أنه ينهى عن ضربهما عن طريق الأولى. الثاني: أنها بمعنى (لا) أي لا تطع من أثم ولا من كفر. قال مكي: وهو قول الفراء: وهو بمعنى الإباحة التي ذكرنا»[4].

---

(١) الدر المصون: ١٢٠/٢.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٤٦/٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٩٥/١، وأنوار التنزيل: ٤٦/٢، والبحر المحيط: ٥٠٢/٢، ولُباب التأويل: ٣٥٩/١، والبحر المديد: ٤٣٥/١.

(٤) الدر المصون: ٤٥/٦، وينظر: معاني القرآن: ١٧٠/٥، والكشاف: ٦٧٥/٤، ومشكل إعراب القرآن: ٧٨٨/٢.

**٤- النهي للمبالغة:**

ويأتي النهي للمبالغة ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢]، قال السَّمين الحلبي: «والنهي في الصورة للحَرَج، والمراد الصادر منه مبالغة في النهي عن ذلك، كأنه قيل: لا تتعاط أسباباً ينشأ عنها حَرَجٌ، وهو من باب (لا أرينك ههنا) النهي متوجه على المتكلم، والمراد به المخاطب، كأنَّه قال: لا تكن بحضرتي فأراك، ومثله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [طه: من الآية ١٦]»[(١)].

وهذا ما ذهب إليه البيضاوي[(٢)]، وذهب أبو السعود إلى معنى التنفير والتحذير[(٣)].

**◈ ثالثاً: الاستفهام:**

**والاستفهام بلاغياً**: هو طلب العلم بالشيء المجهول وهو من صيغ الإنشاء الطلبي، قال السكاكي: «والاستفهام طلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»[(٤)].

فإذا كان التردد في الوقوع أو اللاوقوع فهو التصديق، وإذا كان التردد في المفرد فهو التصور المعنوي كقولنا: (أقام زيد؟) يكون الاستفهام للتصديق

---

(١) الدر المصون: ٣/٢٢٩.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٣/٣.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/٢٠٩، والبحر المديد: ٢/٤٦١.

(٤) مفتاح العلوم، ص١٤٦.

أي: لوقوع الفعل أما إذا قلنا: (أزيد قام أم عمرو؟) يكون الاستفهام للتصور والفرق بين الهمزة التي يطلب بها التصور أو التصديق أن كل ما صلح أن يؤتى بعده بأم المتصلة فهو استفهام عن التصور.

وللاستفهام ألفاظ موضوعة له[1] وهي (الهمزة)، و(هل)، و(ما)، و(من)، و(أي)، و(لم)، و(كيف)، و(أين)، و(أنَّى)، و(متى)، و(أيَّان).

ويخرج الاستفهام مجازياً إلى أغراض بلاغية تعرف من سياق الكلام وقرائن الألفاظ. قال القزويني: «ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»[2]. وذكر مفسرنا أنواعاً كثيرة لخروج الاستفهام مجازياً في تفسيره وهي:

**١- الاستفهام للتعظيم:**

أشار السَّمين الحلبي إلى خروج الاستفهام إلى معنى التعظيم مجازاً، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨]، فقال: «أصحاب الأولى مبتدأ و«ما» استفهام فيه تعظيم مبتدأ ثانٍ»[3].

وهذا رأي ابن عطية والرازي[4]. وذهب أغلب العلماء إلى أن الاستفهام بمعنى التعجب، قال البيضاوي: «والجملتان الاستفهاميتان خبر انَّ لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين»[5]، وهذا

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٢٢٨/١.

(٢) الإيضاح: ٢٣٤/١.

(٣) الدر المصون: ٢٥٣/٦.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٥٨/١، والتفسير الكبير: ١٢٧/٢٩.

(٥) أنوار التنزيل: ٢٨٤/٥.

رأي البغوي والزمخشري والنسفي وغيرهم[1].

وذهب ابن عادل إلى معنى التفخيم والتعجب[2].

**٢- الاستفهام للتعجب أو التعجيب:**

أشار مفسرنا إلى هذا النوع من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤]، فقال: «استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو أنَّهم نسبوا أخَسَّ الجنسين وما يتطيَّرون منه ويتوارى أحدهم من قومه عند بشارته به إلى ربهم وأحسنَ الجنسين إليهم»[3].

وهذا رأي ابن عادل[4]، وذكر الزمخشري أن الاستفهام للاستهزاء والتهكم والتعجيب[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ما أكفره» إمَّا تعجب وإمَّا استفهام تعجيب»[6].

وذهب أغلب العلماء إلى معنى التعجب، ومنهم: أبو السعود، والبغوي

---

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٨/٧، والكشاف: ٤٥٦/٤، ومدارك التنزيل: ٢٠٦/٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٣٧/٦، ولباب التأويل: ١٥/٧، والبحر المديد: ٤٢٩/٧.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٧٧/١٨.

(٣) الدر المصون: ٥١٥/٥.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٥١/١٦.

(٥) ينظر: الكشاف: ٦٦/٤.

(٦) الدر المصون: ٤٨٠/٦.

والزمخشري[1]، وذكر ابن جزي الكلبي معنى التعجيب[2]، وقال ابن عطية: «ما أكفره: يحتمل معناه التعجب ويحتمل معنى الاستفهام توقيفاً أي: أي شيء أكفره أي: جعله كافراً»[3] وتبعه أبو حيان[4]، وذهب بعضهم إلى معنى التوبيخ[5]، وحمل النسفي والثعالبي الآية على معنى التعجب أو التوبيخ[6].

**٣- الاستفهام للتشويق:**

ومن هذا النوع ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «هل أتاك» هو استفهام على بابه، ويسميه أهل البيان التشويق»[7].

وهذا رأي أبي حيان قائلاً: «وهذا الاستفهام توقيف، وفائدته تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر»[8]، وذهب الشربيني إلى معنى التشويق[9]، في حين ذهب أبو السعود إلى معنى التعجب والتشويق[10].

---

(١) ينظر: معاني القرآن الفراء: ١٨٥/٥، والكشاف: ٧٠٣/٤، وإرشاد العقل السليم: ١١٠/٩، ومعالم التنزيل: ٣٣٧/٨، والكشف والبيان: ١٣٢/١٠.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٨٤/٣.

(٣) المحرر الوجيز: ٤١١/٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٢٠/٨.

(٥) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٥٤/٤، والبحر المديد: ٣٦٨/٨.

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: ٣١٧/٤، والجواهر الحسان: ٣٨٨/٤.

(٧) الدر المصون: ٥١٢/٦.

(٨) البحر المحيط: ٤٥٧/٨.

(٩) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٨٤/٤، والتحرير والتنوير: ٢٦١/٣٠.

(١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٤٨/٩، والبحر المديد: ٤٤٨/٨.

**٤- الاستفهام الإنكاري:**

ذكر مفسرنا هذا الغرض البلاغي في تفسيره، وعرض له الكثير من الأمثلة، منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وما لنا ألاَّ نقاتل»... و«ما» في محل رفع بالابتداء، ومعناها الاستفهامُ، وهو استفهام إنكارٍ»[١].

وهذا رأي العكبري[٢] وأبي حيان الذي قال: «استفهام في اللفظ، وإنكار في المعنى»[٣].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ [النمل: من الآية ٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أتُمِدُّونني» استفهامُ إنكارٍ»[٤] وذكر الصنعائي أن الاستفهام للتوبيخ والإنكار[٥].

وقد أكثر مفسرنا من ذكر هذا النوع في تفسيره[٦].

وجاء الاستفهام الإنكاري عند السَّمين الحلبي على ثلاثة أنواع:

**أ- الاستفهام الإنكاري التوبيخي:**

والتوبيخ يأتي بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ

---

(١) الدر المصون: ٥٩٩/١.

(٢) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ١٠٣/١.

(٣) البحر المحيط: ٢٦٤/٢.

(٤) الدر المصون: ٣١٣/٥.

(٥) ينظر: البحر المديد: ٣٣٢/٥.

(٦) ينظر: الكشاف: ٦٢٥/٢، ومدارك التنزيل: ٢٨٧/٢، وأنوار التنزيل: ٤٤٧/٣، وروح المعاني: ٨١/١٥، وزهرة التفاسير: ٤٣٨٧/١.

﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الإسراء: من الآية ٤٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أفأصفاكم» ألف «أصْفَى» عن واو، لأنَّه من صَفَّا يَصْفُوا صَفْواً، وهو استفهام إنكار وتوبيخ»[١].

وهذا رأي أبي حيان وذكره ابن عادل[٢]، وذهب ابن جزي إلى معنى التوبيخ فقط[٣]، في حين ذهب باقي العلماء إلى معنى الإنكار[٤].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: من الآية ٧١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أنَدْعُو» استفهام توبيخ وإنكار»[٥].

وذهب أبو حيان إلى غرض الإنكار[٦]، وذكر العكبري والشوكاني غرض التوبيخ[٧].

وذكر مفسرنا هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[٨].

---

(١) الدر المصون: ٣٩٣/٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٦/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٢٩١/١٢.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٨/٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٦٢٥/٢، ومدارك التنزيل: ٢٨٧/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٧٧/٥، وأنوار التنزيل: ٤٤٧/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٤١/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٧٣/٥.

(٥) الدر المصون: ٩٣/٣.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ١٦١/٤، وأيسر التفاسير: ٧٨/٢، والتحرير والتنوير: ١٦٠/٦.

(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٥٠٧/١، وفتح القدير: ١٨٨/٢.

(٨) ينظر: الدر المصون: ٣٨٩/١-٣٩٠، ٢٦٠/٣، ٥٤٥/٥.

**ب- الاستفهام الإنكاري التوبيخي التعجيبي:**

وجاء هذا النوع في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٦]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «أكفرتم» الهمزَةُ فيه للإنكارِ عليهم والتوبيخِ لهم والتعجيب من حالهم»[(١)].

وذكر البيضاوي أنَّ الهمزة للتوبيخ والتعجيب قائلاً: «أي: فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون وأهل الكتاب»[(٢)]، وتبعه أبو السعود[(٣)].

**ج- الاستفهام الإنكاري التقريعي:**

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ [البقرة: من الآية ٨٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «اتخذتم» الهمزةُ للاستفهام، ومعناهُ الإنكارُ والتقريع»[(٤)].

ولم يحدد أبو حيان نوع الاستفهام قائلاً: «... وأمر نبيه ﷺ بأن يرد عليهم بهذا الاستفهام الذي يدل على الإنكار ما قالوه»[(٥)].

---

(١) الدر المصون: ١٨٣/٢.

(٢) أنوار التنزيل: ٧٧/٢.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٦٩/٢.

(٤) الدر المصون: ٢٧٢/١.

(٥) البحر المحيط: ٤٤٥/١.

**٥- الاستفهام التقريري:**

وقف السَّمين الحلبي في تفسيره على آيات عديدة لهذا الغرض البلاغي، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: «ألم تعلم»: هذا استفهام معناه التقرير»[(١)].

وهذا التوجيه موافق لما ذكره بعض المفسرين[(٢)]، قال أبو حيان: «هذا أيضاً استفهام دخل على النفي فهو تقرير، فليس له معادل، لأنَّ التقرير معناه: الإيجاب، أي: قد علمت أيها المخاطب أنَّ الله له سلطان السماوات والأرض والاستيلاء عليهما، فهو يملك أموركم ويدبرها، ويجريها على ما يختاره لكم من النسخ وغيره»[(٣)].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠]، قال السَّمين الحلبي: «والهمزةُ هنا للتقرير، لأنَّ الاستفهامَ إذا دخل على النفي قرَّره كقوله:

ألَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَـــا وأنْدى العَالمِينَ بُطُـــونَ رَاحِ[(٤)]

المعنى: أنتم خيرُ»[(٥)].

---

(١) الدر المصون: ٣٣٨/١.

(٢) ينظر: النكت والعيون: ١٧٢/١، والكشف والبيان: ٢٥٦/١، وإرشـــاد العقـــل السليم: ١٤٣/١.

(٣) البحر المحيط: ٥١٥/١.

(٤) البيت لجرير، وهو في ديوانه، ص٨٩.

(٥) الدر المصون: ٦٣٠/١.

وهذا مما ذكره ابن عادل وابن عاشور[1].

وأمثلته متعددة[2].

**٦- الاستفهام للنفي:**

تحدث السَّمين الحلبي عن الغرض الذي من أجله سيق لفظ الاستفهام وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ومن أحسن» مبتدأ وخبر، وهذا استفهام معناه النفي، أي: لا أحد»[3].

وهذا رأي أبي حيان الذي قال: «هذا استفهام ومعناه النفي أي: ولا أحد أحسن من الله صبغة»[4]. وذهب النيسابوري إلى معنى الإنكار[5]، وأبو السعود إلى معنى الإنكار والنفي[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «هل يهلك» هذا استفهام بمعنى النفي، ولذلك دخلت «إلاَّ» وهو استثناء مفرغ، والتقدير: ما يهلك إلاَّ القوم الظالمون»[7].

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٦٥/٤، والتحرير والتنوير: ٥١١/٢.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٥٩٢/١، و٤١٦/٣، و٣٦٩/٥.

(٣) الدر المصون: ٣٨٨/١.

(٤) البحر المحيط: ٥٨٤/١.

(٥) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤١٥/١.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٦٨/١.

(٧) الدر المصون: ٦٧/٣.

وهذا مما ذكره أبو حيان وابن عادل وأبو السعود[1]، وذهب الشوكاني إلى غرض التقرير قائلاً: «الاستفهام للتقرير: أي: ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلاَّ القوم الظالمون»[2] وهذا رأي العكبري[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ومن يغفر» استفهامُ معناه النفي، ولذلك وقع بعده الاستثناء»[4].

وهذا رأي الزجاج، والبيضاوي[5].

**٧- الاستفهام للتحريض:**

تناول السَّمين الحلبي في تفسيره هذا الغرض البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: من الآية ٧٦]، فقال: «قوله تعالى: «وما لكم لا تقاتلون»: هذا استفهام يراد به التحريض والأمر بالجهاد»[6].

وذكر النسفي معنى النفي قائلاً: «وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء»[7].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٣٦/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٥٤/٨، وإرشاد العقل السليم: ١٣٥/٣.

(٢) فتح القدير: ١٧٠/٢.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٩٧/١.

(٤) الدر المصون: ٢١١/٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن: ١٩٩/١، وأنوار التنزيل: ٩٣/٢.

(٦) الدر المصون: ٣٩٤/٢.

(٧) مدارك التنزيل: ٢٣٣/١.

**٨- الاستفهام للتوبيخ:**

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الاستفهام، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩]، قال مُرجحاً: «قوله: «هل علمتم» يجوز أن يكون استفهاماً للتوبيخ، وهو الأظهر»[١].

وذهب الرازي إلى غرض التعظيم في الاستفهام[٢]، أما القرطبي فذكر غرض التذكير والتوبيخ للاستفهام[٣].

ومنه مما جاء في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ [الإسراء: من الآية ٦٨]، قال: «قوله: «أفأمنتم» استفهام توبيخ وتقريع»[٤]. فجمع بين التوبيخ والتقريع.

وذكر الزمخشري غرض الإنكار[٥]، وتبعه أبو حيان والبيضاوي والشوكاني[٦].

**٩- الاستفهام للتسوية:**

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا الغرض البلاغي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، فقال: «والهمزة في «أأنذرتهم» الأصل فيه الاستفهام وهو هنا

---

(١) الدر المصون: ٢١١/٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٣١/٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٥/٩.

(٤) الدر المصون: ٤٠٦/٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٦٣٤/٢.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٥٧/٦، وأنوار التنزيل: ٤٥٧/٢، وفتح القدير: ٣٤٩/٣.

غير مراد؛ إذ المراد التسوية»[1].

وهذا ما ذكره العلماء الذين سبقوه ومنهم الزمخشري الذي قال: «والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما الاستفهام»[2]، وتبعه النسفي وأبو حيان[3].

**١٠- الاستفهام للأمر:**

يخرج الاستفهام مجازياً إلى غرض الأمر ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: من الآية ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أأسلمتُم» صورته استفهام ومعناه الأمر، أي: أسْلِموا، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: من الآية ٩١]، أي: انتهوا»[4].

وهذا رأي أكثر المفسرين[5].

**◈ رابعاً: النداء:**

عرَّف البلاغيون النداء بأنَّه «طلب الإقبال بحرف نائب مناب (ادعو) لفظاً أو تقديراً»[6].

---

(١) الدر المصون: ١٠٣/١.

(٢) الكشاف: ٨٧/١.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ١٥/١، والبحر المحيط: ١٧١/١.

(٤) الدر المصون: ٥١/٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٢/١، وجامع البيان: ٢٨١/٦، ومعالم التنزيل: ٣٠/٢، والمحرر الوجيز: ٤١٩/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٢٤٩/١، والجامع لأحكام القرآن: ٤٥/٤، ولُباب التأويل: ٣٣١/١، والبحر المحيط: ٤٢٩/٢، والوجيز: ٢٠٣/١، والإتقان: ٢٠٢/٣، وأيسر التفاسير: ٢٩٧/١.

(٦) ينظر: الإيضاح: ٢٤٥/١، وتهذيب السعد: ٤٤/٣، والإتقان: ٢٠٩/٣.

وللنداء أدوات عدة هي: (الهمزة)، و(آ)، و(أيا)، و(أي)، و(آي)، و(هيا)، و(وا)، و(يا). وبعض هذه الأدوات للقريب وبعضها للبعيد، وقد أشار سيبويه إلى ذلك[1].

ويخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون «وقد تستعمل صيغته في غير معناه، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم (يا مظلوم) والاختصاص في قولهم: أنا أفعل كذا أيها الرجل. ونحن نفعل كذا أيها القوم، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة، أي: متخصِّصاً من بين الرجال، ومتخصصين بين الأقوام والعصائب»[2].

وتناول السَّمين الحلبي المعاني المجازية للنداء في تفسيره وذكر الأغراض البلاغية لأسلوب النداء ومنها:

**١- النداء للتنبيه:**

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: من الآية ٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «و«يا» فيها قولان: أحدهما: وهو قول الفارسي أنَّها لمجرد التنبيه فلا يُقدّر منادى محذوف، ولذلك باشرت الحرف. والثاني: أن المنادى محذوف تقديره: يا هؤلاء ليتني وهذا الخلاف جار فيها إذا باشرت حرفاً أو فعلاً كقراءة الكسائي: «ألا يا اسجدوا»[3] [النحل: من الآية ٢٥]، وقوله:

---

(١) ينظر: الكتاب: ٣٢٥/١١، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٢٧/٣.

(٢) الإيضاح: ٢٤٥/١.

(٣) «ألا يَسْجُدُوا» كلهم شدد اللام في «ألا يَسْجُدُوا» غير الكسائي فإنه خففها و لم يجعل فيها أن ووقف على «ألا» ثم ابتداء «ألاَّ يَسْجُدُوا». ينظر: السبعة، ص٤٨.

ألا يا اسقياني قبل غارةِ سنجال .....[1]»[2]

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين والعلماء[3]. قال البيضاوي: «للتنبيه على ضعف عقيدتهم، وأنَّ قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه، وإنَّما يريد أن يكون معكم لمجرد المال»[4].

**٢- النداء للاختصاص:**

يخرج النداء مجازياً إلى غرض الاختصاص وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أهل البيت» في نصبه وجهان: أحدهما: أنَّه منادى. والثاني: أنَّه منصوب على المدح. وقيل على الاختصاص»[5].

وهذا رأي أكثر المفسرين[6].

وقال النحاس: «أهل البيت منصوب على النداء، ويسميه سيبويه

---

(١) البيت للشماخ وهو في ديوانه، ص٤٥٦، وعجزه: وقبل مَنايا فادياتٍ وآجالِ.

(٢) الدر المصون: ٣٩٢/٢.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٣٧٢/١، والبحر المحيط: ٣٠٥/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٥٣/١، وإرشاد العقل السليم: ٢٠١/٢.

(٤) أنوار التنزيل: ٢١٧/٢.

(٥) الدر المصون: ١١٥/٤.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٠٦/٣، ومدارك التنزيل: ١٦٤/٢، والبحر المحيط: ٢٤٥/٥، وأنوار التنزيل: ٣٤٦/٣، وتفسير السراج المنير: ٥٧/٢، والجواهر الحسان: ٢١٢/٢، والإتقان: ٢٠٩/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٢٦/٤، وفتح القدير: ٧٣٨/٢، وروح المعاني: ١٠١/١٢، والبحر المديد: ٣١١/٣.

تخصيصاً»[1]، وقال العكبري: «قوله تعالى: ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ تقديره يا أهل البيت أو يكون منصوباً على التعظيم والتخصيص أي: أعني»[2].

**٣- النداء للتفجع أو التهويل:**

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، قائلاً. قوله: «يا حسرتا» ومعنى النداء هنا على المجاز وهو التفجُّع عليهم كأنَّه قيل هذا أوانك فاحضري[3].

وهذا رأي ابن جزي الذي قال: «نداء للحسر: كأنَّه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك، وهذا التفجع عليهم... في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل»[4].

(١) معاني القرآن: ١٠٧/٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٧٠٨/٢.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١٤٧/٤، و٤٨١/٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٣/٣.

# المبحث الثاني

## التقديم والتأخير

التقديم من «قدَّم» أي: وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك[1].

ويعد أسلوب التقديم والتأخير من أبرز وأهم الظواهر البلاغية في لغة العرب، إذ إنَّ من سنن العرب «تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخراً وتأخيره وهو في المعنى مقدم»[2]، إنَّ ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة نحوية تناولها النحويون القدماء فكان سيبويه أول من اعتنى بالتقديم والتأخير وأشار إلى دلالات بلاغية كتقديم الفاعل والمفعول للعناية والاهتمام[3]. ودلالات تتعلق بالصنعة الشعرية كالضرورة الشعرية التي قد يؤدي فيها التقديم والتأخير إلى قبح الكلام أحياناً.

وقد تابع النحاة واللغويون سيبويه في آرائه كالمبرد وابن جني الذي تفرد في مناقشته لهذه الظاهرة بينما تميز الفراء والأخفش في نصهما على مواضع التقديم والتأخير من نوع تقديم اللفظ والتأخير في المعنى إلى أن وصل البحث إلى الجرجاني الذي درس الظاهرة –مفيداً من سيبويه– دراسة دقيقة مفصَّلة وأعطى فيها لكل حالة خصوصيتها المعنوية، وقدَّم دراسته على وفق منهج علمي دقيق فقال فيه: «باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرّف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً

---

(١) لسان العرب: مادة (قدم) و(أخر).

(٢) المزهر: ٣٣٨/١.

(٣) ينظر: الكتاب: ١٢٧/٢–١٢٨.

يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنَّ راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان»[1]. وتتابعت الدراسات البلاغية للتقديم والتأخير فكان الزركشي والسيوطي في كتابيهما البرهان والإتقان قد قدَّما حشداً للآراء وبياناً كاشفاً لهذه الظاهرة.

## ◈ أولاً: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية

### ١- تقديم الخبر:

ورد تقديم الخبر عند النحاة وذكروه في غير ما موضع، فقالوا: إنَّ تقديم الأعرف هو الأصل ويقصدون هنا المبتدأ، ويتأخر الأقل تعريفاً ليكون خبراً إلاَّ أنَّ هذه القاعدة ليست ثابتة[2]. فقد يتقدم الخبر لغرض بلاغي أو لسياق الكلام، وقد ورد تقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، قال السَّمين الحلبي: «فعلى أبصارهم خبر مقدم، وغشاوة مبتدأ مؤخر»[3].

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[4].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: من الآية ١١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ولأبويه

---

(١) دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

(٢) ينظر: الكتاب: ٨٨/١، والمقتضب: ١٢٧/٤، والمغني: ٥٨٨/٢.

(٣) الدر المصون: ١٠٦/١.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٢١/١، وإرشاد العقل السليم: ٣٨/١، والتحرير والتنوير: ٣٥٤/١.

لكل واحد منهما السدسُ» «السدس» مبتدأ و«لأبويه» خبر مقدم»[1].

وهذا الرأي نقله ابن عادل الدمشقي من السَّمين الحلبي[2]، و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أفسحر» خبر مقدم و«هذا» مبتدأ مؤخر ودخلت الفاء. قال الزمخشري يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا؟ يريد أهذا العذاب أيضاً سحر؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى»[3]. وذكر أبو حيان والبيضاوي وأبو السعود غرض هذا التقديم وهو الإنكار والتوبيخ[4]، وذهب القرطبي إلى وجود الاستفهام في الآية الكريمة قائلاً: «استفهام معناه التوبيخ والتقريع، أي يقال لهم: (أفسحر هذا) الذي ترون الآن بأعينكم»[5]، فهو لا يذكر التقديم في الآية، وهذا ما ذهب إليه العكبري والشوكاني[6]، وقال أبو عبيدة: ««أفسحر هذا» ليس باستفهام بل هو توعد»[7].

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر هذا النوع في تفسيره[8].

---

(١) الدر المصون: ٣٢٠/٢.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢١٤/٦.

(٣) الدر المصون: ١٩٧/٦، وينظر: الكشاف: ٤١٢/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٤٥/٨، وأنوار التنزيل: ٢٤٥/٥، وإرشاد العقل السليم: ١٤٧/٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٦٤/١٧.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٨٢/٢، وفتح القدير: ١٣٥/٥.

(٧) مجاز القرآن: ١١٧/١.

(٨) ينظر: الدر المصون: ١٠٩/١، و٢٩٢/٦، و٣٢٥/٦، و٥١٦/٦، و٥٤٦/٦.

**٢- تقديم الخبر المقصور:**

ويتقدم الخبر المقصور في بعض الآيات القرآنية ومثله مما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: من الآية ٩٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «إلاَّ البلاغ»: في رفعه وجهان: **أحدهما**: أنَّه فاعل بالجارِّ قبله لاعتماده على النفي، أي: ما استقرَّ على الرسول إلاَّ البلاغ. **والثاني**: أنَّه مبتدأ، وخبرهُ الجارُّ قبله، وعلى التقديرين فالاستثناء مفرغ»[(١)]. فالبلاغ هو المبتدأ وشبه الجملة على الرسول الخبر، وأفاد هذا الأسلوب اختصاص الرسول ﷺ بالبلاغ.

**٣- تقديم خبر كان عليها:**

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من التقديم في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٧]، وتقدم الخبر لإظهار كيفية عاقبة المكذبين، فالمهم في هذه الآية هو مظهر العاقبة، فتقدم لأهميته وتقدَّم تنبيهاً وموعظة، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كيف كان عاقبة» «كيف» خبرٌ مقدم واجبُ التقديم، لتضمُّنِه معنى الاستفهامِ»[(٢)].

وقال الزمخشري: «هذا بيان للناس وإيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثَّهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم، والاعتبار بما يعانون من آثار هلاكهم، وهدًى وموعظةً للمتقين يعني أنَّه مع كونه بياناً وتنبيهاً للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة»[(٣)]، وتبعه أبو حيان والبيضاوي والبقاعي[(٤)].

---

(١) الدر المصون: ٦١٥/٢.

(٢) الدر المصون: ٢١٤/٢.

(٣) الكشاف: ٤٦٥/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٦١/٣، وأنوار التنزيل: ١٨١/١، ونظم الدر: ١٥٩/٢.

ومثاله أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٠٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كيف كان عاقبة». «كيف» خبر لـــ«كان» مقدم عليها واجب التقديم، لأنَّ له صدر الكلام و«عاقبة» اسمها، وهذه الجملة الاستفهامية في محل نصب على إسقاط حرف الجر، إذ التقدير: فانظر إلى كذا»[(١)].

وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين[(٢)]، قال أبو السعود: «و(كيف) خبر (كان) قُدِّم على اسمها لاقتضائه الصدارة»[(٣)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٧٧]، قال السَّمين الحلبي: ««أنفسهم» مفعول لـــ«يظلمون»، وفيه دليل على تقديم خبر «كان» عليها؛ لأنَّ تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل غالباً. وقلت: غالباً، لأن ثَمَّ مواضع يمتنع فيها ذلك نحو: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩]، فـــ«اليتيم» مفعول بـــ«تقهر»، ولا يجوز تقديم «تقهر» على جازمه»[(٤)].

وهذا المعنى ذكره ابن عادل الدمشقي[(٥)]، و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وأمثلته متعددة[(٦)].

---

(١) الدر المصون: ٣/٣١٣.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن:١/٥٨٥، واللباب في علوم الكتـــاب: ٩/٢٤٥، وروح المعاني: ٩/١٨.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١/٥٨٥.

(٤) الدر المصون: ٣/٣٧٤.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٩/٣٩٣.

(٦) ينظر: الدر المصون: ٣/٤٤٥، و٣/٤٨٠.

**٤- تقديم معمول خبر (ليس) عليها:**

وتَقدَّم معمول خبر ليس عليها في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: من الآية ٨]. وفي هذه المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين؛ إذ ذهب الكوفيون إلى أنَّه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها، وإليه يذهب أبو العباس المبرد من البصريين، وزعم بعضهم أنَّه مذهب سيبويه، وليس بصحيح والصحيح أنه ليس في ذلك نص، وذهب البصريون إلى أنَّه يجوز تقديم خبر ليس عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها[١]. وهذا ما ذكره السَّمين الحلبي قائلاً: «قوله: «يوم يأتيهم» منصوب بـــ«مصروفاً» الذي هو خبر «ليس» وقد استدل به جمهور البصريين على جواز تقديم خبر ليس عليها. ووجه ذلك أنَّ تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل. و«يوم» منصوب بـــ«مصروفاً» وقد تقدم على «ليس» فلا يجوز تقديم الخبر بطريق الأولى، لأنَّه إذا تقدم الفرع فأولى أن يتقدم الأصل»[٢].

وذهب الزمخشري إلى تحليل الآية نحوياً فقال: ««يوم يأتيهم» منصوب بخبر ليس ويستدل به من استجيز تقديم خبر (ليس) على ليس، وذلك أنَّه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها، إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلاَّ حيث يقع العامل»[٣]، وتبعه أبو حيان[٤].

---

(١) ينظر: الإنصاف: ١/١٦٠، وشرح المفصل: ٧/١١٢، وشرح التصريح على التوضيح: ١/١٨٨.

(٢) الدر المصون: ٤/٨١.

(٣) الكشاف: ٢/٢٦٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥/٢٠٦.

## ◈ ثانياً: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

إنَّ نظرية العامل في النحو العربي تقتضي أنْ يتلازم العامل ومعموله لما بينهما من علاقة لا يكون أحدهما إلاَّ بالآخر، ولكن قد تقتضي الضرورة البلاغية أن يكون هناك تقديم وتأخير لأغراض بلاغية مختلفة كتقديم المفعول به على الفاعل أو الفعل.

### ١- تقديم المفعول به على فعله:

ذكر سيبويه في كتابه أنَّ المفعول به والفاعل يقدَّمان للاهتمام والعناية[١]. وقد يقدم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فتعرَّض النحاة والبلاغيون لهذا التقديم ذاكرين أهم أغراضه البلاغية.

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى هذه المواضع ومنها قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ما ننسخ» في (ما) قولان: أحدهما: -وهو الظاهر- أنَّها مفعول مقدَّم للنسخ وهي شرطية جازمة له، والتقدير: أي شيء ننسخ، مثل قوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: من الآية ١١٠]، والثاني: أنَّها شرطية أيضاً جازمة للنسخ، ولكنها واقعة موقع المصدر و«من آية» هو المفعول به والتقدير: أي نسخ ننسخ آية قاله أبو البقاء وغيره»[٢]، فالسَّمين الحلبي رجَّحَ الرأي الأول وهو تقديم المفعول به على فعله.

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) الكتاب: ٣٤/١.

(٢) الدر المصون: ٣٣٤/١، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٢/١، والبحر المحيط: ٥١٣/١.

ومن تقديم المفعول مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٨٣]، فقد قدَّم المفعول على فعله، قال السَّمين الحلبي: «... وقَدَّم المفعول الذي هو «غير» على فِعْلِه؛ لأنَّه أهمُّ من حيثُ إنَّ الإنكارَ الذي هو معنى الهمزة متوجهٌ إلى المعبودِ بالباطل، هذا كلام الزمخشري»(١).

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين(٢)، قال البقاعي: «... وأورد بأنَّ تقديم (غير) يُفهِم أنَّ الإنكار منحط على طلبهم اختصاصاً لغير دين الله، وليس ذلك هو المراد كما لا يخفى، وأجيب بأنَّ تقديمه الاهتمام بشأنه في الإنكار والاختصاص متأخر مراعاة عن نكبة غيره»(٣).

ومن تقديم المفعول به على فعله لغرض الاختصاص قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ تقديم المفعول يفيد الاختصاص»(٤).

وهذا مما ذهب إليه ابن عادل وأبو السعود(٥)، والظاهر من كلام الزمخشري أن التقديم يفيد الحصر، وإن لم يصرح بذلك قائلاً: «ثم لا تصلوه

---

(١) الدر المصون: ١٥٧/٢، وينظر: الكشاف: ٤٠٧/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٠٧/٨، ومدارك التنزيل: ١٦٤/١، وأنوار التنزيل: ٥٩/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٠٠/١، وتفسير السراج المنير: ١٨٧/١، وإرشاد العقل السليم: ٥٤/٢.

(٣) نظم الدرر: ١٢٠/٢.

(٤) الدر المصون: ٣١٧/٦.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٣٦/١٩، وإرشاد العقل السليم: ٢٦/٩.

إلاَّ الجحيم»[1]، وتبعه النسفي والآلوسي[2].

### ◈ التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق:

إنَّ سياق القرآن الكريم سياق معجز، في مفرداته وترابط آياته، فكلُّ كلمة تستدعي الأخرى لترتبط بها وتشكِّل بياناً لا يمكن فصله، أو وضع كلمة بدل كلمة، والتقديم والتأخير في أسلوب القرآن الكريم كان أداة فعَّالة لصنع هذا الأسلوب المعجز، فكل كلمة قُدِّمت لسبب وأخرت أخرى بسبب.

وهذا النوع من التقديم والتأخير ذكره الأقدمون في كتبهم كالزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان وذكر تحت عنوان (ما قدِّم والمعنى عليه)[3].

وسأورد ما وجدته من أساليب بلاغية لهذا النوع في تفسير الدر المصون للسَّمين الحلبي الذي كان تفسيره زاخراً به.

### ١- التقديم للاهتمام:

ورد هذا النوع من التقديم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤]، قال السَّمين الحلبي: «و«بالآخرة» متعلق بيوقنون و«يوقنون» خبر عن «هم» وقدم المجرور للاهتمام به»[4].

وقال أبو حيان: «كما أنَّ التقديم للفعل مشعر بالاهتمام المحكوم به»[5].

---

(١) الكشاف: ٦٠٨/٤.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: ٢٧٦/٤، وروح المعاني: ٤٩/٢٩.

(٣) ينظر: البرهان، ص٧٧٤، والإتقان: ٦٧١/٢.

(٤) الدر المصون: ١٠٠/١.

(٥) البحر المحيط: ١٦٨/١.

ومثاله أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥١]، قال السَّمين الحلبي: «وقُدِّم المجرورُ على المفعول به اهتماماً بذكر المحلِّ قبل ذِكْرِ الحالِّ»[١].

وهذا رأي أبي حيان قائلاً: «وقدم في قلوب: وهو مجرور على المفعول للاهتمام بالمحل الملقى فيه قبل ذكر الملقى»[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: من الآية ١٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وفي النار هم خالدون» هذه جملة مستأنفة، و«في النار» متعلقٌ بالخبر، وقُدِّم للاهتمام به، ولأجل الفاصلة. وقال أبو البقاء: أي: وهم خالدون في النار»[٣].

وهذا ما ذكره أبو السعود والآلوسي[٤]، وذكر الرازي غرض الحصر في هذا التقديم قائلاً: ««وفي النار هم خالدون» يفيد الحصر أي: هم فيها خالدون لا غيرهم»[٥] وتبعه النيسابوري والشربيني[٦]، وذكر الشوكاني غرض التأكيد[٧].

وأمثلته متعددة[٨].

---

(١) الدر المصون: ٢/٢٣١.

(٢) البحر المحيط: ٣/٨٣، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٥٩٤.

(٣) الدر المصون: ٣/٤٥٣، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/٦٣٩.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٤/٥٠، وروح المعاني: ١٠/٩٥.

(٥) التفسير الكبير: ١٦/٨.

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/٤٤٢، وتفسير السراج المنير: ١/٤٦٩.

(٧) ينظر: فتح القدير: ٢/٤٩٩.

(٨) ينظر: الدر المصون: ١/٥٧٣، و٢/١٥٧، و٥/٥٠٨، ٦/٥٨٩.

**٢- التقديم للعناية:**

وجاء هذا النوع من التقديم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «والخبر جارٌّ ومجرور بحرف «على» الدالِّ على الاستعلاء المجازي في الوجوب وقُدِّمَ الخبرُ اعتناءً به»(١).

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

**٣- التقديم للاختصاص:**

أشار مفسرنا إلى هذا النوع من التقديم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «آمنا به وعليه توكلنا» أخَّر متعلق الإيمان، وقدَّم تعلق التوكل، وإن التقديم يفيد الاختصاص»(٢).

وهذا ما ذكره الزمخشري والقرطبي وابن عادل(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «علينا»... وقال الزمخشري: التقديم للاختصاص أي: لا يتيسر ذلك إلاَّ على الله وحده»(٤).

---

(١) الدر المصون: ٥٧٣/١.

(٢) الدر المصون: ٣٤٨/٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٥٨٨/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢٢١/١٨، واللباب في علوم الكتاب: ٢٥٩/١٩.

(٤) الدر المصون: ١٨٢/٦، وينظر: الكشاف: ٣٩٦/٤.

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[1]، قال أبو حيان: «تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني لا يتيسر مثل ذلك اليوم العظيم إلاَّ على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن»[2].

**٤- التقديم للترتيب:**

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «وبئس مثوى الظالمين» المخصوص بالذمِّ محذوف أي: مثواهم، أو النار. والمَثْوى: مَفْعَل من ثَوَيْتُ أي: أقَمْتُ، فلامه ياء، وقُدِّم المأوى -وهو المكان الذي يَأوي إليه الإنسان- على المَثْوى -وهو مكانُ الإقامة، لأنَّه على الترتيبِ الوجودي يأوي ثم يَثْوي، ولا يلزم من المأوى الإقامةُ، بخلافِ عَكْسِه»[3].

وهذا الرأي ذكره ابن عادل الدمشقي[4]، ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

**٥- التقديم لرعاية الفواصل:**

وقد ذكر السَّمين الحلبي أن التقديم يأتي لرعاية الفواصل ورؤوس الآي وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥]،

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٦٤/٢٨، ومدارك التنزيل: ١٧٥/٤، وأنوار التنزيل: ٢٣٢/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٥٤/١٨، وتفسير السراج المنير: ١٥٨/٤، وإرشاد العقل السليم: ١٣٥/٨، وروح البيان: ١٦٤/١٤، والتحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٦.

(٢) البحر المحيط: ١٢٩/٨.

(٣) الدر المصون: ٢٣٢/٢.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٩٦/٥.

قال السَّمين الحلبي: ««هم» مبتدأ، و«خالدون» خبرُه، و«فيها» متعلقٌ به، وقُدِّم ليوافقَ رؤوسَ الآي»[1].

ولم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي فهي من انفرادات السَّمين الحلبي.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «والتوبة: الرجوعُ، ومعنى وَصْفِ اللهِ تعالى بذلك أنَّه عبارةٌ عن العطف على عبادِه وإنقاذِهم من العذابِ، ووصفُ العبدِ بها ظاهرٌ لأنه يَرْجع عن المعصيةِ إلى الطاعة، والتَّوابُ الرحيمُ صفتا مبالغةٍ، ولا يختصَّان بالباري تعالى. قال تعالى: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة، من الآية ٢٢٢]، ولا يُطلقُ عليه «تائب» وإن صُرِّحَ بفعله مسنداً إليه تعالى، وقُدِّم الثوابُ على الرحيم لمناسبةِ «فتاب عليه» ولأنه موافق لخَتْم الفواصل بالرحيم»[2].

وهذا ما ذكره ابن عادل[3]، وقال الآلوسي: «وقدم التواب لظهور مناسبته لما قبله»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٨٩]، قال السَّمين الحلبي: «والباء في «بِهَا»

---

(١) الدر المصون: ١/١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٩٦.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١/٥٧٧.

(٤) روح المعاني: ١/٢٣٨.

متعلقة بخبر «لَيْسَ» وقُدِّم على عاملها للفواصل»[1].

ولم يذكر الزمخشري التقديم وإنَّما اكتفى بتفسير الآية[2]، وهذا ما عليه العكبري وأبو حيان والنسفي وغيرهم[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «من الذين آمنوا» متعلق بـــ«يضحكون» أي: من أجلهم، وقدم لأجل الفواصل»[4].

وهذا ما ذكره ابن عادل[5] ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي. وأمثلته متعددة[6].

(١) الدر المصون: ١١٧/٣.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤٨٣/٣.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٥١٧/١، والبحر المحيط: ١٧٩/٤، ومدارك التنزيل: ٣٣٣/١، وروح البيان: ٤٨٣/٣.

(٤) الدر المصون: ٤٩٥/٦.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٢٣/٢٠.

(٦) ينظر: الدر المصون: ٢٩٥/١، ٥٧٨/١، ٦٧١/١، ٥٧٧/٢، ٩٤/٤، ٦٠/٦.

# المبحث الثالث

## التعريف والتنكير

المعرفة ما دلَّ على شيء بعينه[1]. وأقسام المعرفة هي: الإضمار، والعلمية، والموصولية، والإشارة، واللام، والإضافة.

ويدخل التعريف على المسند إليه؛ لأنَّ الأصل فيه أن يكون معرفة؛ لأنَّه المحكوم عليه، والحكم على المجهول لا يفيد، ولذلك فإنه يعرف لتكون الفائدة أتم، لأنَّ احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ومتى كان أقرب كانت أضعف[2].

أما تعريف المسند فلإفادة السامع إما حكماً على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له، وأما لازم حكم بين أمرين[3].

وقد تناول مفسرنا السَّمين الحلبي أنواع التعريف في تفسيره.

**أولاً: التعريف بالألف واللام:** يعرف المسند إليه بالألف واللام لغرضين:

أولهما: الإشارة إلى فرد من أفراد الحقيقة، معهود بين المتكلم والمخاطب، وتسمى اللام عندئذٍ لام العهد الخارجي.

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من التعريف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فلفظ «الذكر» مسند إليه، وقد عرف بـــ«ال»

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٨٢.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢/١١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٤٧.

إشارة إلى العهد الذي لم يصرح بلفظه، وإنَّما دل عليه قوله: «ما في بطني محرراً»، قال السَّمين الحلبي: «والألف واللام في «الذَّكَر» يُحْتَمل أن تكون للعهد، والمعنى: ليس الذكرُ الذي طلبَتْ كالأنثى التي وُهِبَتْ لها. قال الزمخشري: فإنْ قلت: فما معنى قولها: «وليس الذكر كالأنثى»؟ قلت: هو بيانٌ لـــ«ما» في قوله: «والله أعلم بما وضعت» من التعظيم للموضوع، والرفع منه ومعناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وُهِبت لها»[1]، وسمى الدكتور بسيوني هذا النوع بـــ(لام العهد الخارجي الكنائي)[2].

وحمل مفسرنا الألف واللام في الآية نفسها للجنس أيضاً قائلاً: «والألفُ واللام فيهما للعهد وأن تكون للجنس على أن مرادها أن الذكر ليس كالأنثى في الفَضْل والمزيَّة؛ إذ هو صالح لخدمةِ المُتعبدات وللتحرير ولمخالطة الأجانب بخلاف الأنثى»[3].

**ثانياً: التعريف بلام الاستغراق:** وهي التي يراد بمدخولها جميع الأفراد المندرجة تحت الحقيقة عند قيام القرينة الدالة على ذلك، وقد سميت لام الاستغراق لاستيعابها جميع الأفراد[4]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣]، ذكر السَّمين الحلبي معاني بليغة وأساليب بديعة لهذه السورة الكريمة ومنها ما قاله: «تعريفه بأل الجنسية الدالة على الاستغراق»[5].

---

(١) الدر المصون: ٧٤/٢، وينظر: الكشاف: ٣٨٤/١.

(٢) علم المعاني، ص١٢٩.

(٣) الدر المصون: ٧٤/٢.

(٤) ينظر: علم المعاني، د. بسيوني، ص١٣١.

(٥) الدر المصون: ٥٧٨/٦.

وهذا ما نقله ابن عادل والشربيني[1].

**ثالثاً: التعريف بالإضافة:** ومعناه أن يضاف المسند إليه إلى ما بعده فيؤدي أغراضاً بلاغية[2]. ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١]، قال السَّمين الحلبي: «جره بحرف القسم أيضاً مع أنه تعرف بالإضافة وهو امتداد الشمس وامتداد النهار»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه: ٥٦]، قال السَّمين الحلبي: «والإضافة قائمة مقام التعريف العهدي أي: الآيات المعروفة كالعصى واليد ونحوهما»[4].

وهذا قريب من رأي الزمخشري الذي قال: «قوله تعالى: «كلها فكذب» وجهان، أحدهما: أن يحذي بهذا التعريف الإضافي حذو التعريف باللام أو قيل الآيات كلها، أعني أنها كانت لا تعطي إلاَّ تعريفاً للعهد، والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام: العصا، واليد... والثاني: أن يكون موسى قد أراه آياته وعددها عليه...»[5].

**◈ التنكيـــر:**

هو ما دل على شيء لا بعينه[6]. ويكون لتنكير المسند إليه أغراض بلاغية كثيرة ذكرها البلاغيون منها: الإفراد، أو النوعية، أو للتعظيم أو

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٢٥/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٤٣٧/٤.

(٢) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٠٠.

(٣) الدر المصون: ٣٠٩/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٢٩/٥.

(٥) الكشاف: ٧١/٣.

(٦) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٨٢/٢.

للتهويل أو للتحقير أو للتكثير أو للتقليل...[1].

وأما تنكير المسند فيكون لأغراض: إرادة عدم الحصر والعهد، أو للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انحطاطه[2].

وقد تناول السَّمين الحلبي التنكير في تفسيره مُبيناً الأغراض البلاغية التي خرج لها بأسلوب يتسم بالوضوح والدقة وهي:

١- **التنكير للتبعيض**: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٣-٥]، قال السَّمين الحلبي: «وَنكَّر غاسقاً وحاسداً؛ لأنَّه قد يتخلف الضرر فيهما. فالتنكير يفيد التبعيض»[3].

وفسر الزمخشري والرازي وابن جزي وأبي حيان الآية من دون ذكر لفظ التنكير[4]. وذكر ابن عاشور أنَّ تنكير (غاسق) لغرض الدعاء[5].

٢- **التنكير للتعظيم**: ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، قال السَّمين الحلبي: «ونكر «هدى» ليفيد إبهامه التعظيم كقوله:

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٤٢/٢-٤٣، ومفتاح العلوم، ص٩٢، وخصائص التراكيب دراسة لمسائل علم المعاني، ص١٦٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٥/٢.

(٣) الدر المصون: ٥٩٢/٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٨٢٧/٤، والتفسير الكبير: ١٧٩/٣٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٧٧/٣، والبحر المحيط: ٥٣٤/٨.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٤٩/٣٠.

فَلاَ وَأَبِي الطَّيْـــرِ الْمُرِبَّـــةِ بالـــضُّحَى
عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتِ عَلَى لَحَمِ[1]»[2]

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[3]، وذكر النيسابوري غرض المبالغة قائلاً: «ونكر (هدى) ليفيد ضرباً من المبالغة أي: هدى لا يبلغ كنهه»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢]، قال السَّمين الحلبي: «ونكر «عِلْم» تعظيماً»[5].

وهذا ما ذكره ابن عادل[6] وابن عاشور الذي قال: «وتنكير (علم) للتعظيم، أي: عالمين أعظم العلم، والعظمة هنا راجعة إلى كمال الجنس في حقيقته، وأعظم العلم هو العلم الذي لا يحتمل الخطأ ولا الخفاء أي: عالمين علماً ذاتياً لا يتخلف عنا ولا يختلف في ذاته، أي: لا يحتمل الخطأ ولا التردد»[7].

**٣- التنكير للإشاعة والإبهام**: وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: من الآية ٢]، قال السَّمين الحلبي: «قال الزمخشري: وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنَّه قيل أي: رحمةٍ

---

(١) البيت لأبي خراش الهذلي. ينظر: ديوان الهذليين: ١٥٤/٢.
(٢) الدر المصون: ١٠١/١.
(٣) ينظر: الكشاف: ٨٥/١، أنوار التنزيل: ١٣٢/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٠٣/١، وتفسير السراج المنير: ٢٣/١، والتحرير والتنوير: ٣٤٢/١.
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٤٨/١.
(٥) الدر المصون: ٢٧٨/٣.
(٦) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٣٧/٩.
(٧) التحرير والتنوير: ١١٧/٨.

كانت سماوية أو أرضية»[1].

وهذا ما عليه المفسرون[2].

**٤- التنكير للاتكال على المعنى**: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤]، قال السَّمين الحلبي: «ونَكَّرَ قوله: «فعدَّة» ولم يقل «فعدتها» اتكالاً على المعنى»[3].

وهذا قريب من رأي أبو حيان الذي قال: «ونكر «عِدّة» ولم يقل «فعدتها»، أي: فعدّة الأيام التي أفطرت اجتزاءً، إذ المعلوم أنَّه لا يجب عليه عدّة غير ما أفطر فيه مما صامه، والعدة المعدودة، فكان التنكير أخصر»[4]، ولم يذكر الزمخشري والرازي والنيسابوري غرض التنكير[5].

**٥- التنكير للتعميم**: وذلك في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، قال السَّمين الحلبي: «ونَكَّرَ «ظلماً» لأنَّه في سياق النفي، فهو يَعُمُّ كل نوعٍ من الظلم»[6].

---

(١) الدر المصون: ٤٥٨/٥، وينظر: الكشاف: ٦٠٦/٣.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: ٣٣٥/٣، والبحر المحيط: ٢٨٦/٧، واللباب في علوم الكتاب: ١٠١/١٦، وإرشاد العقل السليم: ١٤٢/٧، والتحرير والتنوير: ١١١/٢٢.

(٣) الدر المصون: ٤٦١/١.

(٤) البحر المحيط: ٣٩/٢.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٥٢/١، والتفسير الكبير: ٥٦/٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٩٦/١.

(٦) الدر المصون: ١٨٥/٢.

وهذا رأي أبي حيان وغيره[1]، ولم يذكر الزمخشري غرض التنكير قائلاً: «ونكر ظلماً وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا بها»[2]، فهو يقصد معنى النفي وإن لم يصرح بذلك.

٦- **التنكير للتنويع**: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: من الآية ٦]، قال السَّمين الحلبي: «ونَكَّرَ «رُشداً» دلالة على التنويع، والمعنى: أيُّ نوعٍ حَصَل من الرشدِ كان كافياً»[3].

وهذا رأي أبي حيان[4]، وذكر النسفي غرض التخصيص أو التقليل بقوله: «وتنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص وهو الراشد في التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أي: طرفاً من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد»[5].

٧- **التنكير للتخصيص**: وذلك في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: من الآية ٢٨]، قال السَّمين الحلبي: «قال الزمخشري: ونكر منافع؛ لأنَّه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودينياوية ولا توجد في غيرها من العبادات»[6].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢٩/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦١/٥، وإرشاد العقل السليم: ٧٠/٢.

(٢) الكشاف: ٤٢٨/١.

(٣) الدر المصون: ٣١٢/٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٨٠/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٨٨/٦.

(٥) مدارك التنزيل: ٢٠٥/١.

(٦) الدر المصون: ١٤٤/٥، وينظر: الكشاف: ١٥٣/٣.

وهذا ما ذكره البيضاوي الذي قال: «وتنكيرها لأنَّ المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة»[1]، وهذا رأي الرازي[2].

وذكر ابن عاشور غرض التعظيم قائلاً: «وتنكير (منافع) للتعظيم المراد منه الكثرة وهي المصالح الدينية والدنيوية»[3].

(١) أنوار التنزيل: ١٢٣/٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١٨٧/١٧.

# المبحث الرابع

## الحذف والذكر

**الذكر**: هو وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى.

**والحذف**: هو إسقاط سبب خفيف[١].

وهو ملحظ نحوي دقيق المسلك لهُ سماته المتفردة التي تجعله شبيهاً بالسحر[٢]. ولهذا عبَّر عنه ابن الأثير بأنَّه نوع من التأليف شريف لا يكاد يلجهُ إلاَّ فرسان البلاغة، وذلك لعلو مترلتهِ[٣].

فابن الأثير يعدَّه نوعاً من التأليف النحوي الذي يكتشفه أهل البلاغة. ولاشك في أنَّ أول من طرق بابه هم –النحاة– الذين عنوا بدراسته وبيَّنوا مواضعه؛ إذ كانوا يذكرون اللفظ ويحذفونه حسبما يقتضيه السياق والمعنى.

فقد أشار إليه سيبويه في أكثر من موضع من (الكتاب) مبيناً أنواعه وكاشفاً عن أسبابه مؤكداً أن ذلك من سمة العرب الفصحاء في أساليبهم[٤]. وعده ابن جني باباً قيماً من أبواب شجاعة العربية[٥].

ومن هنا يبدو أن النحاة الأوائل قد أدركوا أهمية المباحث الإسنادية في دلالة الكلام، أسلوباً موضوعياً فنياً؛ لذا كانت: «عنايتهم الفائقة بدراسة

---

(١) التعريفات، ص٦١.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

(٣) ينظر: الجامع الكبير، ص١٢٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ١/٨، ١١١، ٢٧٩.

(٥) ينظر: الخصائص: ٢/٣٦٠ وما بعدها.

الكلام العربي والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها عن تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وإضمار وإظهار، وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباته»[1].

وكذلك اهتم البلاغيون بحذف المسند إليه وحذف المسند ورأوا الجمال والروعة يتجليان في العبارة عندما يحذف ركن من أركانها، ووجدوا من وراء ذلك دواعي بلاغية شتى ومعاني مختلفة، وأدركوا أنه يفقد قيمته عندما لا يقوم في العبارة دليل عليه، وإنَّ الحذف له فوائد وأسباب وشروط حددها العرب بلغتهم واستنبطها البلاغيون بحذقهم[2].

لقد كان اهتمام مفسرنا السَّمين الحلبي كبيراً في موضوع الحذف، مبيناً المحذوف والمواضع التي يحدث فيها الحذف، وقد اصطبغت دراسته بالصبغة النحوية تارةً والبلاغية تارةً أخرى، كما أنه انحاز في تفسيره انحيازاً بيِّناً للحذف على حساب الذكر.

ومن صور الحذف التي تناولها السَّمين الحلبي في تفسيره.

**١- حذف المبتدأ:**

ومنه قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ﴾: خبرُ مبتدإٍ محذوف دلَّ عليه الكلام تقديره: تقَلُّبهم أو تَصَرُّفهم متاع قليل»[3].

---

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص٢٥.

(٢) ينظر: البرهان، ص٦٨٦-٦٨٧.

(٣) الدر المصون: ٢/٢٩١.

وهذا الرأي ذكره أغلب المفسرين[1]، قال أبو السعود: «خبر لمبتدأ محذوف أي: هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى»[2].

ومن حذف المبتدأ ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الأنعام: من الآية ١٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «للهِ» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أو ذلك لله»[3].

وهذا ما ذكره العكبري والنسفي وابن جزي وأبو حيان[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ [التوبة: من الآية ٦١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: «أُذُنٌ خير لكم»: «أُذُن» خبر مبتدأ محذوف، أي: قل هو أُذُنُ خيرٍ»[5].

وهذا ما عليه أغلب العلماء والمفسرين[6].

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤٨٧/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٢٣٢/١، وإملاء ما من به الرحمن: ١٦٤/١، ومدارك التنزيل: ٢٠٠/١، وأنوار التنزيل: ١٣٥/٢، وتفسير السراج المنير: ٢٢٣/١.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١٣٥/٢.

(٣) الدر المصون: ١٧/٣.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٨٣/١، ومدارك التنزيل: ٣١٥/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٤٩/١، والبحر المحيط: ٨٦/٤.

(٥) الدر المصون: ٤٧٧/٣.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٦/١٤، ومشكل إعراب القرآن: ٣٣٠/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٩٢/٨، والبحر المحيط: ٦٤/٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٢٩/١٠، وروح البيان: ٨٨/٥، وروح المعاني: ١٤٢/١٠، والبحر المديد: ١٢٦/٣.

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر هذا النوع في تفسيره[1].

**٢- حذف الفاعل:**

قال السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٨]: «قوله: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ اللامُ زائدةٌ لا تعلُّق لها بشيءٍ زيدت في مفعولِ المصدرِ وهو ظلم، والفاعلُ محذوفٌ، وهو في التقدير ضميرُ الباري تعالى، والتقدير: وما اللهُ يريد أن يَظْلِمَ العالمين»[2].

وهذا رأي الرازي وأبو حيان والنيسابوري وغيرهم[3].

ومن حذف الفاعل ما جاء في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣]، قال السَّمين الحلبي: «والفاعل محذوف تقديره: مِنْ بعدِ أنْ غَلَبهُمْ عدوُّهُمْ وهم فارسُ»[4].

وهذا رأي الزجاج الذي قال: «أي: من بعد أن غلبهم الفرس يغلبون الفرس، فالمصدر مضاف إلى المفعول وقد حذف الفاعل»[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [ص: من الآية ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «والفاعل محذوف أي: بأنْ سَأَلَكَ

---

(١) ينظر: الدر المصون: ١/١٣٣-١٣٤، ١/٢٢٥، ١/٢٥٩، ١/٢٦٠، ٦/٣٥١.

(٢) الدر المصون: ٢/١٨٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٨/١٥٣، والبحر المحيط: ٣/٢٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤/٢٣٢، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٤٦٢، والتحرير والتنوير: ٣/١٨٧.

(٤) الدر المصون: ٥/٣٧١.

(٥) إعراب القرآن، ص٩٨، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/٣٨٢.

نَعْجَتَكَ»[1].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر هذا النوع في تفسيره[2].

**٣- حذف المفعول به:**

أشار السَّمين الحلبي إلى حذف المفعول وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، فقال: «والمفعول محذوف، أي: مبين كفركم بخالقكم»[3].

وهذا ما نقله ابن عادل عن السَّمين الحلبي[4]، و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «ومفعولُ العِلْم متروكٌ؛ لأنَّ المعنى: وأنتم من أهلِ العِلم، أو حُذِف اختصاراً أي: وأنتم تعلمونَ بُطلان ذلك»[5].

وهذا قريب من رأي أبو حيان الذي قال: «جملة حالية، ومفعول تعلمون

---

(١) الدر المصون: ٥/٥٣١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/١١٩، ١/٥٥٢، ١/٤٢٤، ٣/٣٤٣، ٥/٥٣٨، ٦/٤٣١-٤٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٠٢.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٨/٢٣٢.

(٥) الدر المصون: ١/١٥٠.

محذوف اختصاراً، إذ المقصود: وأنتم من ذوي العلم، فلا يناسب من كان عالماً أن يكتم الحق ويلبسه بالباطل، وقد قدروا حذفه حذف اختصار»[1].

وذكر ابن جزي الكلبي غرض هذا الحذف فقال: ««وأنتم تعلمون» حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي: وأنتم تعلمون وحدانيته بما ظهر لكم من البراهين»[2].

وأمثلته متعددة[3].

**٤- حذف أحد المفعولين:**

فمن حذف المفعول الأول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾: الجمهور على فتح تاء المضارعة، وقرأ الأعمش بضمِّها الأول؛ لأنَّه فاعلُ معنى تقديرُهُ: ولا تُنكِحُوا أنفسَكم المشركاتِ»[4].

وهذا قريب من رأي النسفي الذي قال: «حذف أحد المفعولين والتقدير: ولا تنكحوهن المشركين حتى يؤمنوا»[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: من الآية ٢٨]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: ﴿لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ حذف المفعول الأول للعلم به، أي: لا يأمر أحداً، أو لا يأمركم يا مدعي ذلك»[6].

---

(١) البحر المحيط: ٣٣٥/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٨/١.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٤٢٤/١، ١٧٠/٤، ٣٣٨/٥.

(٤) الدر المصون: ٥٤٠/١.

(٥) مدارك التنزيل: ١٠٦/١، واللباب في علوم الكتاب: ٤٩/٤.

(٦) الدر المصون: ٢٥٧/٣.

وهذا ما ذكره ابن عادل[1]، و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي. وأمثلته متعددة[2].

ومن حذف المفعول الثاني قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩]، قال السَّمين الحلبي: «وحذف مفعول «أبصر» الثاني إما اختصاراً لدلالة الأول عليه وإما اقتصاراً»[3].

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[4]، و لم يحدد ابن جزي المفعول المحذوف[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٨]، قال السَّمين الحلبي: «والمفعول الثاني محذوف لفهم المعنى تقديره: هو موليها، وجهة أو نفسه، ويؤيد هذا قراءة ابن عامر: «مولاها» على ما لم يسم فاعله»[6].

وهذا ما ذهب إليه النحاس وأبو حيان وغيرهم[7].

**٥- حذف المفعولين معاً:**

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٧٩/٩.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٣٣٥/١، ٥٩/٣، ٦٦/٣.

(٣) الدر المصون: ٥١٧/٥-٥١٨.

(٤) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٢٣/٣، وفتح القدير: ٥٩١/٤.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٣٧/٢.

(٦) الدر المصون: ٤٠٥/١، وينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص٢٧٥.

(٧) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٧١/١، والبحر المحيط: ٦١١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧/٣، وروح المعاني: ١٤/٢.

أشار السَّمين الحلبي إلى حذف المفعولين معاً وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠]، فقال: «قوله: «قل أرأيتم» مفعولاها محذوفان تقديره: أرأيتم حالكم إن كان كذا ألستم ظالمين»[(١)].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[(٢)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «الذين زعمتم» مفعولا الزعم محذوفان، لفهم المعنى، أي: زعمتموهم آلهة»[(٣)].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[(٤)].

**٦- حذف المضاف:**

وقف السَّمين الحلبي على عدد غير قليل من أمثلة حذف المضاف منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله:

---

(١) الدر المصون: ١٣٦/٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤٧/٨، واللباب في علوم الكتاب: ٣٨٥/١٧، وروح المعاني: ١٢/٢٦.

(٣) الدر المصون: ٤٠٠/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥٠/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٣١٣/١٢، وروح المعاني: ٩٧/١٥.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ «ما» موصولةٌ بمعنى الذي، ومحلهما: إمَّا النصبُ وإمَّا الرفعُ عطفاً على «الميِّتة»، والرفعُ: إمَّا على خبر إنَّ، وإمَّا على الفاعلية على حَسَب ما تقدَّم من القراءات. و«أهل» مبني للمفعول، والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور في «به»، والضمير يعود على «ما»، والباء بمعنى «في». ولابُدَّ من حَذْفِ مضاف أي: في ذَبْحِه، لأن المعنى: وما أُبيح في ذَبْحِه لغيرِ اللهِ»[1]. وهذا ما ذكره أبو حيان[2].

ومن حذف المضاف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: من الآية ١٥٨]، قال السَّمين الحلبي: «قال أبو البقاء: وفي الكلام حذف مضاف تقديره: طواف الصفا أو سعي الصفا»[3].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان[4].

وقد يحذف أكثر من مضاف وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: من الآية ١٩]، قال السَّمين الحلبي: «و«كصيب» معطوفٌ على «كمثل»، فهو في محل رفع، ولابُدَّ من حذف مضافَيْنِ، ليصح المعنى، والتقدير: أو كمثل ذُوي صَيِّب»[5].

---

(١) الدر المصون: ٤٤٢/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٦٦٤/١، واللباب في علوم الكتاب: ١٧٣/٣.

(٣) الدر المصون: ٤١٤/١، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٣٠/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٦٣١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٩١/٣.

(٥) الدر المصون: ١٣٥/١.

وهذا المعنى هو المشهور وعليه أكثر المفسرين[1].

**٧- حذف المضاف إليه:**

هذا النوع من الحذف قليل في القرآن الكريم[2]، وله مواضع محدَّدة في القرآن الكريم منها: حذف المضاف إليه بعد ألفاظ (كل وبعض)، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: جمهور القراء على تنوين «كل»، وتنوينه للعوض من المضاف إليه، والجار خبر مقدم، و«وجهة» مبتدأ مؤخر، واختلف في المضاف إليه كل المحذوف فقيل: تقديره: ولكل طائفة من أهل الأديان وقيل: ولكل أهل موضع من المسلمين وجهته إلى جهة الكعبة يميناً وشمالاً، ووراء وقدام»[3].

وهذا ما ذكره الزمخشري وأبو حيان وغيرهم[4].

**٨- حذف الصفة:**

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: من الآية ٣٢]، فمن وجوه

---

(١) ينظر: الكشاف: ١١٤/١، والتفسير الكبير: ٧٢/٢، ومدارك التنزيل: ٢٣/١، والبحر المحيط: ٢٢١/١، وأنوار التنزيل: ١٩٩/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٨٦/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٧٥/١، وإرشاد العقل السليم: ٥٢/١.

(٢) ينظر: البرهان، ص٧١٧.

(٣) الدر المصون: ٤٠٥/١، وينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٥٢/١.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢٣١/١، والبحر المحيط: ٦١٠/١، وأنوار التنزيل: ٤٢٥/١، واللباب في علوم الكتاب: ٥٥/٣، والبحر المديد: ١٤٨/١.

تفسير هذه الآية الكريمة التي ذكرها السَّمين الحلبي قوله: «أنَّ «ظناً» له صفة محذوفة تقديره: إلاَّ ظنَّاً بيناً فهو مختص لا مؤكد»[1].

وهذا قريب مما ذكره أبو حيان؛ إذ قال: «فأما الآية، فتأوَّل على حذف وصف المصدر حتى يصير مختصاً لا مؤكداً، وتقديره: إلاَّ ظناً ضعيفاً...»[2].

ولم ينص أغلب المفسرين على حذف الصفة في الآية وإنَّما اكتفوا بتقديرها.

**٩- حذف الموصوف:**

لقد وضع العلماء شروطاً في جواز حذفه فقد ذكر الزركشي أنَّه يشترط فيه أمران:

**أحدهما:** كون الصفة خاصة بالموصوف، فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف.

**والثاني:** أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث تعلقها بغرض السياق[3]. وفي ضوء هذا يكون لحذف الموصوف ما يسوغه وهو القرينة السياقية على وفق ما قاله العلماء.

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، فقال: «حذف الموصوف بالكوثر؛ لأنَّ

---

(١) الدر المصون: ١١٣/٦.

(٢) البحر المحيط: ٥١/٨.

(٣) ينظر: البرهان، ص٧١٨، وبدائع الفوائد: ٢٧/٣.

في حذفه من فرط الشياع والإبهام ما ليس في إثباته»[1]. وهذا ما ذكره ابن عادل والشربيني[2].

ومن حذف الموصوف أيضاً قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾. أي: سفينة. قال الزمخشري: وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات، فتنوب منابها، وتؤدي مؤدها بحيث لا يفصل بينها وبينها. ونحوه:

.....وَلَـــ كِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِن حَدِيدِ[3]

أراد: ولكن قميصي درع

..... وَلَوْ فِي عُيُونِ النَّازِيَاتِ بِأَكْرُعِ[4]

أراد: ولو في عيون الجراد. ألا ترى أنَّك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة. أو بين الجراد والدرع وهاتين الصفتين لم يصح، وهذا من فصيح الكلام وبديعه»[5]. وهذا هو المشهور بين المفسرين[6].

---

(١) الدر المصون: ٥٧٨/٦.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٢٥/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٤٣٧/٤.

(٣) عجز البيت للمتنبي وهو في ديوانه: ١٦٣/١، وصدره: مفرشي صهوة الحصان ولـــ.

(٤) لم أعثر على قائله، وصدره: وإني لأستَوفي حُقوقي جاهداً.

(٥) الدر المصون: ٢٢٧/٦، وينظر: الكشاف: ٤٣٥/٤.

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: ١٩٥/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٥/٣، والبحر المحيط: ١٧٦/٨، واللباب في علوم الكتاب: ٢٤٩/١٨، والجواهر الحـــسان: ٢٣٥/٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢١٩/٦، والـــدر المنثـــور: ٦٧٥/٧، وروح المعاني: ٨٣/٢٧.

**١٠- حذف المصدر:**

يحذف المصدر إذ دَلَّ عليه الفعل، باعتبار أنَّ الفعل حدث مقرون بزمن، وهو ما يخلو منه المصدر(١). وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: ﴿فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ في نصب «قليلاً» ستةُ أوجهٍ: أحدها وهو الأظهرُ: أنه نعت لمصدرٍ محذوفٍ أي: فإيماناً قليلاً يؤمنون»(٢).

وهذا قريبٌ مما ذكر الطبري قائلاً: «ولذلك نصب قوله: «فقليلاً»، لأنَّه نعت للمصدر المتروك ذكره، ومعناه: بل لعنهم الله بكفرهم، فإيماناً قليلاً ما يؤمنون»(٣)، وهذا الرأي هو المشهور بين المفسرين(٤).

**١١- حذف المنادى:**

تناول السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ألا يسجدوا» قرأ الكسائي بتخفيف «ألاَ» والباقون بتشديدها فأمَّا قراءة الكسائي فَـ«ألاَ»

---

(١) ينظر: الجواهر: ٤٨١/٢، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم، ص١١٣.

(٢) الدر المصون: ٢٩٦/١.

(٣) جامع البيان: ٣٣٠/٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٥٩/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٩٠/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٦/٢، ومدارك التنزيل: ٥٧/١، والبحر المحيط: ٤٧١/١، والجواهر الحسان: ٨٧/١، والبحر المديد: ١٢٢/١.

فيها تنبيه واستفتاح و«يا» بعدها حرف نداء أو تنبيه... والمنادى محذوف تقديره: هؤلاءِ اسْجُدُوا»[1].

وقال الفرّاء: «زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا ثم حذفت اللام ومن قرأ بالتحقيق كان المعنى: ألا يا قوم ويا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السماوات والأرض خلافاً عليهم وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيده»[2].

ويرى الزمخشري أنَّ: من قرأ بالتشديد أراد: فصدَّهم عن السبيل لئلاَّ يسجدوا فحذف الجار (من أن) ويجوز أن تكون (لا) مزيدة ويكون المعنى: فهم لا يهتدون إلى أنْ يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يسجدوا...»[3]، وتبعه النسفي في ذلك[4].

**١٢- حذف التمييز:**

ورد حذف التمييز في تفسير السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٦]، قال السَّمين الحلبي: «ومميِّزُ السبعةِ والعشرةِ محذوفٌ للعلمِ به»[5].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) الدر المصون: ٣٠٧/٥ قرأ الكسائي (ألا تَسْجِدُوا) كُلَهم شَدَّدَ اللام في ألا يَسْجُدوا غير الكسائي فإنه خففها ولم يجعل فيها أن ووقف على ألاَّ ثم ابتدأ (اسْجُدوا). ينظر: السبعة، ص٤٨٠.

(٢) معاني القرآن: ٢٩٠/٢.

(٣) الكشاف: ٣٦٦/٣.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: ٢١٠/٢.

(٥) الدر المصون: ٤٨٨/١.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: من الآية ١٤]، قال السَّمين الحلبي: «والمميز لأفعل محذوف، لدلالة المضاف إليه عليه أي: أحسن الخالقين خلقاً أي: المقدرين تقديراً»[(١)].

وهذا مما ذهب إليه الزمخشري قائلاً: «أي: أحسن المقدرين تقديراً، فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه»[(٢)]، وتبعه النسفي وابن عادل، والنيسابوري وغيرهم[(٣)].

**١٣- حذف القول:**

ظهر حذف القول بشكل واضح وكثير عند السَّمين الحلبي في تفسيره، منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كلوا» هذا على إضمار القَوْلِ، أي: وقُلنا لهم: كُلوا، وإضمارُ القول كثيرٌ في لسانهم، ومنه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: الآية ٢٣، ومن الآية ٢٤] أي: يقولون سلامٌ، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: من الآية ٣] أي: يقولون ذلك، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ

---

(١) المصدر نفسه: ١٧٧/٥.

(٢) الكشاف: ١٨٢/٣.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ١١٨/٣، واللباب في علوم الكتاب: ١٨٣/١٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١١٢/٥، وروح البيان: ٣٧٥/٧، والبحر المديد: ١٠/٥.

﴿وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٦] أي: فيُقال لهم ذلك»[١].

وهذا رأي ابن عطية والثعلبي والقرطبي وغيرهم[٢].

ومن حذف القول أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: من الآية ٩٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «اخرجوا» منصوب المحل بقول مضمر، والقول يضمر كثيراً، تقديره: يقولون: اخرجوا»[٣].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب العلماء والمفسرين[٤].

**١٤- حذف القسم:**

تناول السَّمين الحلبي حذف القسم في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ﴾ [الأنعام: من الآية ١٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله:

---

(١) الدر المصون: ٢٣١/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٣٢/١، والكشف والبيان: ٢٠١/١، والجامع لأحكام القرآن: ٤٢١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠١/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٩٢/١.

(٣) الدر المصون: ١٢٣/٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٤/١، ومعالم التنزيل: ١٦٩/٣، والمحرر الوجيز: ٣٨١/٢، والتفسير الكبير: ٧٠/١٣، والتبيان في إعراب القرآن: ٥٢١/١، وإملاء ما من به الرحمن: ٢٥٣/١، والكشف والبيان: ١٧٠/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٢٩٠/٨.

«ليجمعنَّكم» جواب قسم محذوف، أي: والله لَيَجْمَعَنَّكُمْ»[1].

وهذا رأي أغلب المفسرين[2]، قال أبو السعود: «جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر أي: والله ليجمعنكم في القبور»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «واللام في «ليؤمنن» جوابُ قسمٍ محذوف. وقال أبو البقاء: «ليؤمنن جواب قسم محذوف، وقيل: أكَّد بها في غير القسم كما جاء في النفي والاستفهام»[4].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[5].

وأمثلته متعددة[6].

**١٥- حذف الأجوبة:**

أشار السَّمين الحلبي إلى أمثلة كثيرة جاءت مسبوقة بإحدى أدوات الشرط، إلاَّ أن جوابها محذوف، لدواعٍ بلاغية بيَّنها السَّمين الحلبي، ومن هذه

---

(١) الدر المصون: ٣/١٧.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١١/٢٧٩، ومعالم التنزيل: ٣/١٣١، والتفسير الكبير: ١٢/١٣٧، وتفسير السراج المنير: ١/٣٢٨.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٣/١١٥.

(٤) الدر المصون: ٢/٤٥٩، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/٤٠٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣/٤٠٨، وحاشية الصبان: ١/٢٢٤، واللباب في علوم الكتاب: ٧/١١٧، وروح المعاني: ٦/١٢.

(٦) ينظر: الدر المصون: ١/٢٣٥، و١/٤٠٠، و٣/٢٤١، و٤/٤١٠.

الأنواع.

**أ – حذف جواب (إنْ)**: وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ﴾ [الممتحنة: من الآية ١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إن كنتم خرجتم» جوابه محذوف عند الجمهور لتقدم «لا تتخذوا» ومقدم وهو «لا تتخذوا» عند الكوفيين ومن تابعهم.

وقال الزمخشري: «إن كنتم خرجتم» متعلق «تتخذوا» يعني: لا تقولوا أعدائي إن كنتم أوليائي، وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه»[(١)].

وهذا ما ذكره العكبري، وابن جزي، والبيضاوي، وغيرهم[(٢)].

وأمثلته متعددة[(٣)].

**ب– حذف جواب (إذَا)**: نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣–٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «وجواب (إذا) محذوف يدل عليه قوله: «لكل امرئٍ منهم شأن يغنيه» أي التقدير: فإذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه»[(٤)].

---

(١) الدر المصون: ٣٠٢/٦، وينظر: الكشاف: ٥١٢/٤.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢١٧/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٤/٣، وأنوار التنزيل: ٣٢٦/٥، والجواهر الحسان: ٢٩٠/٤، والتحرير والتنوير: ١٢٢/٢٨.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١٣٦/٦.

(٤) المصدر نفسه: ٤٨٢/١.

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[1] ومنهم أبو حيان الذي قال: «وجوابه (إذا) محذوف تقديره: اشتغل كل إنسان بنفسه»[2].

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف في مواضع متعددة من تفسيره[3].

**ج- حذف جواب (لَّما)**: كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود: ٧٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وجاءته البشرى» عطف على «ذهب» وجواب (لَّما) على هذا محذوف، أي: فلما كان كيت وكيت اجترأ على خطابهم أو فطن لمجادلتهم»[4].

وهذا المعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[5].

وأمثلته متعددة في تفسيره[6].

**د - حذف جواب (لو)**: قال السَّمين الحلبي في هذا الحذف: «وحذف

---

(١) ينظر: مدارك التنزيل: ٣١٨/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٧٠/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٣٥٦/٤، وفتح القدير: ٥٤٣/٥.

(٢) البحر المحيط: ٤٢١/٨.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٢٣٢/٢، و٦٢٤/٢، و٤٨٧/٥، و٥٢٥/٦.

(٤) المصدر نفسه: ١١٦/٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٣٨٩/٢، والمحرر الوجيز: ٢٠٧/٣، وإملاء ما من به الرحمن: ٤٣/٢، ومدارك التنزيل: ١٦٤/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/٢، وأنوار التنزيل: ٢٤٦/٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٨/٤، والتحرير والتنوير: ٢٩٩/١١.

(٦) ينظر: الدر المصون: ١٣٢/١، و١٦١/٤، و٥١٠/٥.

جواب (لو) شائعٌ مستفيض، وكثُر حَذْفُه في القرآن. وفائدة حَذْفِه استعظامُه وذهابُ النفسِ كلَّ مذهبٍ فيه بخلاف ما لو ذُكِر، فإنَّ السامعَ يقصُر هَمَّه عليه»[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «لو كانوا يعلمون» جواب (لو) محذوف تقديره: لو كانوا يعلمون ذم ذلك لما باعوا به أنفسهم، وهذا أحسن من تقدير أبي البقاء: «لو كانوا ينتفعون بعلمهم لامتنعوا من شراء السحر»؛ لأنَّ المقدر كلَّما كان متعبداً من اللفظ كان أولى»[2].

وهذا رأي أبي حيان وأبي السعود[3]. وأمثلته متعددة[4].

**هـ- حذف جواب (لولا)**: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، قال السَّمين الحلبي: ««ولولا فضل الله»، جواب «لولا» محذوف أي: لَهَلَكْتُمْ»[5].

وهذا هو المشهور[6]، قال النيسابوري: «وجواب (لولا) محذوف أي: لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد، وإنَّما حسن حذفه

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٢٩.

(٢) الدر المصون: ١/٣٢٩، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/١٠١.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ١/٢٨٨، وإرشاد العقل السليم: ١/١٤٠.

(٤) ينظر: الدر المصون: ١/٤٢٨-٤٢٩، و١/٤٣١.

(٥) المصدر نفسه: ٥/٢١٢.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/٩٦٦، وإملاء ما من به الرحمن: ٢/١٥٤، والبحر المحيط: ٦/٤٠٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/٣١١، والبرهان، ص٧٤٠.

ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ في البيان»[1].

وأمثلته متعددة[2].

**١٦- حذف الحروف:**

وفي حذفها دلالات بيانية تنطوي على مقدار غير يسير من الأسرار البلاغية، وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف ومنه:

**- حذف الهمزة:** ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، قال السَّمين الحلبي: «و«هذا ربي» محكي بالقول، فقيل: هو خبر محضٍ بتأويل ذكره أهل التفسير. وقيل: بل هو على حذف همزة الاستفهام، أي: أهَذَا رَبِّي»[3].

وذهب القرطبي والسمرقندي إلى تقديرهُ «أهذا ربي»[4]، والصحيح أنه خبر، قال ابن هشام: «وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا رَبِّى ۖ﴾ في المواضع الثلاثة: والمحققون على إنه خبر»[5]، وقال البقاعي: «فكأنه من بصره أن أتى بهذا الكلام الصالح؛ لأن يكون خبراً واستفهاماً ليوهم أنه مخبر»[6]، وهذا ما عليه العلماء[7].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٦٤/٥.

(٢) ينظر: الدر المصون: ١٦٨/٤، و٣٤٦/٥، و١٦٤/٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٦/٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/٥، وبحر العلوم: ٤٨١/١.

(٥) مغني اللبيب: ٢٠/١.

(٦) نظم الدرر: ١٥٩/٧.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤١/١، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٩٢/٢، والبحر المحيط: ١٧٢/٤، وفتح القدير: ١٣٣/٢.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «لكنا هو الله ربي» قرأ ابن عامر بإثبات الألف وصلاً ووقفاً، والباقون بحذفها وصلاً وإثباتاً ووقفاً، فالوقف وِفَاقٌ، والأصل في هذه الكلمة: «لَكِنْ أَنَا» فنقل حركة همزة أنا اعتباطاً، فالتقى مثلان فأدغم»[(١)].

وهذا التوجيه للمعنى مشهور وموافق لما قال به أغلب المفسرين[(٢)].

– **حذف الواو**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: من الآية ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويمحُ الله الباطل» هذا مستأنف غير داخل في جزاء الشرط؛ لأنَّه تعالى يمحو الباطل مطلقاً وسقطت الواو منه لفظاً لالتقاء الساكنين في الدرج وخَطَّاً حملاً للخط على اللفظ كما كتبوا: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] عليه ولكي ينبغي أن لا يجوز الوقف على هذا؛ لأنَّه إن وُقِفَ عليه بالأصل وهو الواو خَالَفْنا خط المصحف وإن وقفنا بغيرها موافقة للرسم خالفنا الأصل»[(٣)].

وقال أبو حيان: «استئناف إخبار، أي: يمحوه... وكتب يمح بغير واو، كما كتبوا سندع بغير واو، اعتباراً بعدم ظهورها، لأنَّه لا يوقف عليها وقف اختيار، ولما سقطت من اللفظ سقطت من الخط»[(٤)].

---

(١) الدر المصون: ٤٥٦/٤، وينظر: النشر: ٣٤٩/٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٥٢/١، وجامع البيان: ٢٣/١٨، والتفسير الكبير: ١٠٧/٢١، والبحر المحيط: ١١٧/٦، وأنوار التنزيل: ٤٩٧/٣، وروح المعاني: ٢٧٧/١٥.

(٣) الدر المصون: ٨٠/٦-٨١.

(٤) البحر المحيط: ٤٩٥/٧.

وذكر البقاعي غرض هذا الحذف فقال: «... إيماء إلى أنَّه سبحانه يمحق رفعه وعلوِّه، وغلبته التي دلَّت عليها الواو مطابقة بين خطِّه ولفظه، ومعناه تأكيداً للبشارة... وفي هذا الحذف أيضاً تشبيه بفعل الأمر إيماء إلى أنَّ إيقاع هذا المحو أمرٌ لابد من كونه على أتم الوجوه وأحسنها»[1].

– **حذف الياء**: ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، ذهب السَّمين الحلبي إلى القول بالحذف قائلاً: «وقرأ أبو عمرو والكسائي ونافع «يَأْتِي» بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً، وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلاً ووقفاً وفي مصحف عثمان حذفها وإثباتها هو الوجه، لأنها لام الكلمة، وإنَّما حذفوها في القوافي والفواصل، لأنَّها محل وقوف، وقالوا: لاَ أدْرِ ولاَ أبَالِ.

وقال الزمخشري: إن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هُذَيل»[2].

– **حذف حرف الجر**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: من الآية ١٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «واختُلِفَ في تقدير حرف الجر فقيل: هو «في» أي: ترغبون في نكاحهن لجمالهِنَّ ومالهِنَّ، وقيل: هو «عن» أي: ترغبون عن نكاحهن لقُبحِهنَّ وفقرهِنَّ... والقول الأول مرويٌّ

---

(١) نظم الدرر: ٣٥٧/٥.

(٢) الدر المصون: ١٣٠/٤، وينظر: النشر: ٢٩٢/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ١٣٥/٢، والكشاف: ٦٠٤/١.

عن عائشة -رضي الله عنها- وطائفة كبيرة»[1].

وذكر هذه الأقوال هو المشهور بين المفسرين[2].

وأمثلته متعددة[3].

**- حذف حرف النداء:** كقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ [يوسف: من الآية ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: ««يوسف» منادى محذوف منه حرف النداء»[4]. ثم يذكر رأي الزمخشري قائلاً: «لأنَّه منادى قريب مقاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله»[5].

وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[6].

---

(١) الدر المصون: ٤٣٤/٢.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للزجاج، ص٢٧، ومعاني القرآن للنحاس: ٢٠٣/٢، والكشاف: ٦٠٤/١، ومدارك التنزيل: ٢٥١/١، والبحر المحيط: ٣٧٨/٣، وأنوار التنزيل: ٢٦١/٢.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١٥٨/١، ٤١٤/١، ٦٤٦/١.

(٤) المصدر نفسه: ١٧١/٤.

(٥) الدر المصون: ١٧١/٤، وينظر: الكشاف: ٤٣٥/٢.

(٦) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ١٥٢/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٥/٩، ومدارك التنزيل: ١٨٥/٢، وأنوار التنزيل: ٢٨٤/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٧٠/٤.

# المبحث الخامس

## الفصل والوصل

**الفصل** (**لغةً**): القطع، والوصل خلاف الفصل ويعني فصل الشيء بالشيء[1]. والوصل في البلاغة عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه[2]، وإذا ما أردنا أن نربط التعريف اللغوي بالتعريف البلاغي نكتشف أنَّ الارتباط وثيق بين التعريفين، فالفصل قطع الجمل والوصل ربط الجمل.

ولكنَّ علينا أن نعرف مواضع الفصل والوصل وقد عَدَّ التفتازاني الابتداء بالفصل الأصل؛ لأنَّ الوصل عارض على الفصل قال معلقاً على ابتداء القزويني بالفصل من دون الوصل: «بدأ بذكر الفصل؛ لأنَّه الأصل، والوصل طارئ أي: عارض عليه حاصل بزيادة حرف، لكنْ لَّما كان الوصل بمنزلة الملكة والفصل بمنزلة عدمها والإعدام إنما تعرف بملكتها بدأ في التعريف بذكر الوصل»[3]. ويقصد بمنزلة الملكة أي الأمر الوجودي؛ لأنَّ حرف العطف بوجوده يكون الكلام موصولاً وبعدمه يكون الكلام مقطوعاً.

والفصل والوصل من المباحث البلاغية التي جعلها العلماء مقياساً للبلاغة فقد نقل الجاحظ أنَّه قيل للفارس ما البلاغة؟ فقال: هي معرفة الفصل والوصل[4].

ويعد الجرجاني من أبرز من تحدث عن مواضع الفصل والوصل فقال

---

(١) لسان العرب، مادة (فصل).

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٦/١، والتلخيص، ص١٧٥، وتهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٣) تهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ٨٨/١.

فيه: «إنَّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها -ولو عطفت- بعطف الشيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف، وجملة ليست في الشيء من الحالين... وحق هذا ترك العطف البتة. فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين الحالين»[1].

واتفق البلاغيون فيما بعد على إنَّ الفصل يجب في خمسة مواضع وأنَّ الوصل يجب في ثلاثة مواضع[2].

وقد عرَّف السَّمين الحلبي الفصل بأنَّه: عدمُ العطف، والفصل بأنَّه: العطفُ[3].

**◈ مواضع الفصل:**

**الأول**: وضابطه أن يكون بين الجملتين كمال التآلف وتمام الاتحاد، إذ تنزل الثانية من الأولى المنزلة نفسها وهو (كمال الاتصال) وذلك أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، والمقتضى للتأكيد رفع توهم التجوّز والغلط، وهو قسمان:

١- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ

(١) دلائل الإعجاز، ص١٨٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٦/١، والتلخيص، ص١٤٧.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٥٧٢/١.

أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ﴾ [المائدة: من الآية: ٣٦]، قال السَّمين الحلبي: ««جميعاً» توكيد له أو حال منه»[١].

قال أبو السعود: «وقوله: «جميعاً» توكيد للموصول أو حال منه»[٢]، وهو رأي بعض المفسرين[٣].

٢- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٧]، قال السَّمين الحلبي: ««أنت» يجوز فيه التأكيد والابتداء والفصل»[٤].

وهذا رأي أبي حيان[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «وهم بالآخرة هم» هم الثانية توكيداً للأولى توكيداً لفظياً»[٦].

وهذا رأي الزجاج الذي قال: «فكررهم تأكيداً»[٧]، وقال النسفي: «هم

---

(١) المصدر نفسه: ٥١٨/٢.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٣٣/٣.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣١٣/٧، وروح البيان: ٢٤٩/٣، وروح المعاني: ١٢٩/٦.

(٤) الدر المصون: ٣٧٠/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٥٥٩/١.

(٦) الدر المصون: ٨٧/٤.

(٧) إعراب القرآن، ص٦٠.

الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به»[1]، وهو رأي الشوكاني[2].

ومن النوع الثاني لكمال الاتصال أن تكون الثانية بدلاً من الأولى وهو ضربان:

١- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة البعض من متبوعه، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ﴾: (ما) مصدرية ظرفيةٌ، و(داموا) صلتُها، وهي (دام) الناقصةُ، وخبرُها الجارُّ بعدَه، وهذا الظرفُ بدل من (أبداً) وهو بدلُ بعضٍ من كل؛ لأنَّ الأَبَدَ يَعُمُّ الزمنَ المستقبل كلَّه، ودوامُ الجبارين فيها بعضُه، وظاهر عبارة الزمخشري يحتمل أن يكون بدلَ كل من كل أو عطف بيان، والعطفُ قد يقع بين النكرتين على كلامٍ فيه تقدَّم، قال الزمخشري: (وأبداً) تعليقٌ للنفي المؤكد بالدهر المتطاول، و(ماداموا فيها) بيانُ الأمر)، فهذه العبارة تحتمل أنَّه بدلُ بعضٍ من كل، لأنَّ بدلَ البعض من الكل مبيِّنٌ للمراد نحو: (أكلت الرغيف ثلثه)، ويحتمل أن يكونَ بدلَ كل فإنَّه بيانٌ أيضاً للأولِ وإيضاحٌ له، نحو: (رأيت زيداً أخاك)، ويحتمل أن يكونَ عطفَ بيان»[3].

وذكر العكبري وأبو حيان والبيضاوي اشتمال الآية على بدل البعض[4].

---

(١) مدارك التنزيل: ١٥٠/٢.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٧٠٩/٢.

(٣) الدر المصون: ٥٠٧/٢، وينظر: الكشاف: ٦٥٥/١.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٣١/١، والبحر المحيط: ٤٧١/٣، وأنوار التنزيل: ٣١٣/٢.

وأمثلته متعددة[1].

٢- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال، كقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: هذه الجملة الفعلية يحتمل أن تكون مستأنفة جواباً لسؤال مقدر وهو: ما بالهم قالوا آمنا، وما هم بمؤمنين؟ فقيل: يخادعون الله ويحتمل أن تكون بدلاً من الجملة الواقعة صلة لـــ(من) وهي (يقول) ويكون هذا من بدل الاشتمال؛ لأنَّ قولهم كذا مشتمل على الخداع فهو نظير قوله:

إنَّ عَلَـــــيّ اللهَ أنْ تبايِعَـــــا تُؤخَذَ كَرْهاً أوْ تَجِيءَ طَائِعَاً[2]

وقول الآخر:

مَتَى تَأتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَـــا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً ونَاراً تَأجَّجَا[3]

فـــ(تؤخذ) بدل اشتمال من (تبايع) وكذا (تلمم) بدل من تأتنا»[4].

٣- قد يكون في الجملة خفاء وإبهام فتأتي بعدها جملة أخرى تكشف هذا الخفاء وتزيل ذلك الإبهام، والمقام يقتضي ذلك، وذلك هو عطف البيان، كقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، قال

---

(١) ينظر: الدر المصون: ١/٦٧٥-٦٧٦، ٣/٢١٦.

(٢) لم أعثر على قائله.

(٣) البيت لعبيد الله بن الحر الجعفي.

(٤) الدر المصون: ١/١١٣.

السَّمين الحلبي: «قوله: «بكلمة منه» في محل جرٍ صفة لكلمة، والمراد بالكلمة هنا عيسى، سمي كلمةً لوجوده بها وهو قوله: «كن فيكون» فهو من باب إطلاق السبب على المُسَبَّب. و(اسمه) مبتدأ، و(المسيح) خبرهُ، و(عيسى) بدلٌ منه أو عطفُ بيان»[1].

**الثاني**: وهو أنْ يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) أي: تباين تام وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود، وذلك أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، فإنَّ جملة (إنَّ الله خبيرٌ) خبرية، وجملة (اتقوا) إنشائية (أمر) لذلك لم تعطف الثانية على الولى، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «واتقوا الله» تأكيد، وقيل: كرر لتغاير متعلق القولين: فمتعلق الأولى إذاً الفرائض لاقترانه بالعلم، والثانية: ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد»[2].

وهذا هو المشهور بين المفسرين[3].

**الثالث**: وضابطه أنْ تكون الجملة الأولى مورد السؤال الذي قد تضمنته والمقدر فيها، فجاءت الثانية جواباً لها أو جواباً لسؤال قُدِّر في الجملة الأولى، وإذ ذاك يجب فصل الثانية عن الأولى لوقوعها جواباً عن السؤال المقدر فيها، ويسمى هذا (شبه كمال الاتصال) أو (الاستئناف)، كقوله

---

(١) الدر المصون: ٢/٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦/٢٩٩، وينظر: الكشاف: ٤/٥٠٧.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٢٥٣، والبحر المحيط: ٨/٢٤٨، وأنوار التنزيل: ٥/٣٢٣، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/٦٠٧، وتفسير السراج المنير: ٤/١٨٢.

تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: من الآيتين: ٩-١٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وجعل» مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما بأجنبي وهو قوله: «وتجعلون»»[(١)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، قال السَّمين الحلبي في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة ذاكراً رأي الزمخشري ومُرجحاً لهُ: «قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ يحتمل وجهين:

**أحدهما**: أنَّها جملة كررت للتوكيد لَمَّا طال الفصل بالمفاعيل كررت... كذا قال الشيخ.

**والثاني**: أنَّه ليس بتأكيد وإليه نحا الزمخشري، فإنَّه قال: فإنْ قلتَ: ما معنى تكرار «رأيت» قلت: ليس بتكرار، إنَّما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله: «إنّي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر»، كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال: «رأيتهم لي ساجدين». قلتُ: وهذا أظهر، لأنَّه متى حمل الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس، فحمله على الثاني أولى»[(٢)].

**الرابع**: وضابطه أن يكون ثمة جملة مسبوقة بجملتين يجوز عطفها على الأولى منهما ولا يجوز عطفها على الثانية فيترك العطف لئلا يُظن أنها معطوفة

---

(١) الدر المصون: ٥٧/٦.

(٢) الدر المصون: ١٥٣/٤، وينظر: الكشاف: ٤١٨/٢، والبحر المحيط: ٢٨١/٥.

على الثانية، وتسمى هذه الحالة (شبه كمال الانقطاع)، ومثالهم قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغـــي بهـــا بدلاً أراهما في الـــضلال تهـــيم

ففي هذا البيت ثلاث جمل (تظن) و(أبغي) و(أراها) ولا مانع من عطف الأخيرة (أراها) على الأولى (تظن)، ولكن عطفها على الثانية (أبغي) لا يجوز؛ لأنَّه غير مراد أصلاً، فلا معنى لقوله (أبغي بدلاً وأراها)[1]. ولم أجد شواهد للسَّمين الحلبي في تفسيره ذكرناها إكمالاً للفائدة.

**الخامس**: وضابطه أنْ تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصول كأنْ يكون الأولى حكماً يقصد إعطاؤه للثانية كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤- من الآية ١٥]، فقد فصل جملة: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، عن جملة «قالوا»، لأنَّ قولهم مقيد بوقت خلوهم إلى شياطينهم أما استهزاء الله بهم فدائم في كل آن، وليس مقيداً بهذا الوقت، ولذا وجب الفصل لعدم الاشتراك في القيد... وأما فصل هذه الجملة: «الله يستهزئ بهم» عن جملة «إنا معكم» فلعدم قصد التشريك في الحكم الإعرابي[2]. هذا ولم أجد شواهد للسَّمين الحلبي في تفسيره ذكرناها إكمالاً للفائدة.

وللوصل مواضع ثلاثة هي:

**الأول**: وضابطه أنْ يكون بين الجملتين انقطاع تام فتوصلان دفعاً للفهم الخاطئ فقولنا: «لا، وأيدك الله» وصلٌ واجبٌ لكي لا يُفهم الدعاء بالسوء؛

---

(١) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١١٤، والبيت للمهلهل بن مالك الكناني، ينظر: معجم الشواهد العربية: ٣٥٦/٢.

(٢) ينظر: علم المعاني، د. بسيوني، ص٤٧٥.

إذ من المعروف أنَّ (لا) إذا دخلت على الماضي أعطت معنى الدعاء والكلام ليس بذلك فهو واجبٌ لسائل (هل الأمر كذلك) فنجيب (لا، وأيدك الله) فالجملة الأولى خبرية (لا ليس الأمر كذلك) والثانية إنشائية؛ لأنَّها أخذت معنى الدعاء (أيدك الله)[1].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: من الآية ١٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويقبضن» عطف الفعل على الاسم؛ لأنَّه بمعناه أي: وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا﴾ [الحديد: من الآية ١٨]، فإنَّ الاسم هنا مؤول بالفعل»[2].

**الثاني**: وضابطه أن تكون الجملتان متفقتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنىً كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: من الآية ٣٥]، فعطف جملة (كُلا) على جملة (اسكن) لأنَّهما إنشائيتان. قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وكلا منها رغداً» هذه الجملة عطفٌ على «اسكن» فهي في محلِّ نصبٍ بالقول»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وأوفوا بعهدي» هذه جملةٌ أمريةٌ عطفٌ على الأمرية قبلَها»[4].

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٥٥٣/٣.

(٢) الدر المصون: ٣٤٦/٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٩/١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٣/١.

**الثالث**: وضابطه أنْ يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأنَّ الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد. وينبغي هنا أنْ تكون مناسبة بين الجملتين[1]. كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: من الآية ٣٩]، عطفت جملة (يقدر) على جملة (يبسط) ؛ لأنَّ المراد إشراكهما بحكم إعرابي واحد فالثانية بمنزلة الخبر أيضاً للفظ الجلالة وتقدير الكلام (الله باسط وقادر)[2]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويقدر» أي: يُضَيِّقُ بدليل مقابلته ليَبْسُطُ»[3].

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٥٥٣/٣.

(٢) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٤٥.

(٣) الدر المصون: ٤٤٩/٥.

# المبحث السادس

## القصر والحصر

**القصر (لغةً)**: الحبس والالتزام، نقول: قَصَرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها[١]. وقَصرَ عن الشيء عجز عَنْهُ و لم يبلغه وبَابهُ دَخَلَ[٢].

**القصر (اصطلاحاً)**: هو تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوصة[٣].

والقصر توكيد وأداته التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء. ومن المعلوم أنَّ الغرض البلاغي الذي يؤديه أسلوب القصر غرض جوهري يتعلق بمعاني الجمل وقد يختلف المعنى كلياً لتقديم كلمة أو تأخيرها بحسب السياق القرآني.

وأسلوب القصر يتكون من ركنين هما: المقصور والمقصور عليه، أي أحد الشيئين موصوف والآخر صفة[٤]. وطرق القصر أربعة هي:

١- النفي والاستثناء وهي: (لا وإلاَّ، وما وإلاَّ، وإن وإلاَّ) وهنا يكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء.

٢- (إنَّما) ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً.

٣- العطف بـــ(لا، وبل، ولكن) فإن كان العطف بـــ(لا) كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان العطف بـــ(بل ولكن) كان المقصور عليه ما بعدهما.

---

(١) لسان العرب، مادة (قصر).

(٢) المصدر نفسه، مادة (قصر).

(٣) ينظر: الإتقان: ١٢٧/٣، والميسر في البلاغة العربية، ص٢١٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٧/٣.

٤- تقديم ما حقه التأخير وهنا يكون المقصور عليه هو المقدّم[١].

وللقصر طرفان هما: المقصور، والمقصور عليه، والأخير هو الشيء المخصص به، ويقسِّم البلاغيون القصر على ثلاثة أقسام.

**أ – القصر باعتبار طرفيه:**

**١- قصر الموصوف على الصفة:**

وهو من القصر الإضافي، إذ الموصوف على هذه الصفة لا يتجاوزها إلى غيرها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: من الآية ١٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «غاية ما في الباب أنَّ (إلاَّ) دخلت على الصفة لتفيدَ الحصر»[٢].

**٢- قصر الصفة على الموصوف:**

وفيه تكون الصفة مقصورة على الموصوف وحده، لا تتجاوز إلى غيره، ادِّعاءً بأنَّه ليس لهذه الصفة موصوف آخر غير المنصوص عليه، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ذكر السَّمين الحلبي أنَّ لتفسير الآية أوجه أحدها ما جاء في قوله: «قوله: «إلاَّ الله». إنّه فاعل «يعلم» و«من» مفعوله و«الغيب» بدل من «من في السماوات» أي: لا يعلم مَنْ في السماوات والأرض إلاَّ الله أي الأشياء الغائبة التي تحدث في العالم»[٣].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٨.

(٢) الدر المصون: ٤٥٩/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٣/٥.

**ب- القصر من حيث الحقيقة والواقع:**

**١- القصر الحقيقي:**

وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، قال السَّمين الحلبي: «إنَّ وما في خبرها في محل رفع القيامة مقام الفاعل؛ إذ التقدير: إنَّما يوحى إليَّ وحدانية إلهكم. وقال الزمخشري: إنَّما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنَّما زَيْدٌ قائِمٌ، وإنَّما يقوم زيدٌ، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية؛ لأنَّ إنما يوحى إليَّ مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيدٌ و«إنَّما إلهكم إله واحد» بمنزلة إنما زيدٌ قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أنَّ الوحي لرسول الله ﷺ مقصور على استثناء الله بالوحدانية...»[(١)].

وهذا رأي الزمخشري وغيره[(٢)].

**٢- القصر غير الحقيقي (الإضافي):**

وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر إلى جميع ما عداه[(٣)]. ومنه قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١-٣]، قال السَّمين الحلبي: «إنَّا أنزلنا عليك

---

(١) الدر المصون: ١١٧/٥.

(٢) ينظر: الكشاف: ١٣٩/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٦٢٣/١٣، وتفسير السراج المنير: ٤٢٠/٢.

(٣) ينظر: الإيضاح، ص٧، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٧٦.

القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاومة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوَّة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلاَّ ليكون تذكرة»[1].

**ج- القصر باعتبار حال المخاطب:**

وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، وبيان ذلك أنَّ القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب على ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين، والمخاطب في أسلوب القصر إما أن يكون شاكاً في الأمر أو يكون معتقداً عكس الرأي في الحكم أو يكون معتقداً الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم. فهو يكون لمقتضى الحال أو ما تدعيه الحاجة[2].

**١- قصر إفراد:**

وفيه يعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، أي تخصيص أمر بصفة من أخرى[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: من الآية ٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «والتقدير: وما إله في الوجود إلاَّ إله متصف بالوحدانية. قال الزمخشري: (من) في قوله (من إله) الاستغراق، وهي المقدرة مع (لا) التي لنفي الجنس في قولك: (لا إله إلاَّ الله) والمعنى: وما من إله قط في الوجود إلاَّ إله متصفٌ بالوحدانية وهو الله تعالى... قال مكي: ويجوز في الكلام النصبُ (إلاَّ إلهاً) على الاستثناء»[4].

---

(١) الدر المصون: ٥/٥.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

(٣) ينظر: الميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

(٤) الدر المصون: ٢/٥٨٣، وينظر: الكشاف: ١/٦٩٧.

وهذا ما ذكره النسفي والنيسابوري وابن عادل[1].

**٢- قصر القلب:**

وفيه يعتقد المخاطب عكس الحكم الذي أثبته المتكلم له أي يعتقد عكس تلك الصفة الأولى ويسمى قصر القلب لقلبه حكم السامع[2]. ومثاله (وما علي إلاَّ شاعر) إذا كان المخاطب يعتقد اتصاف علي بالخطابة لا بالشعر، كان القصر قصر قلب. و لم أجد شواهد في تفسير السَّمين الحلبي لهذا النوع.

**٣- قصر التعيين:**

وفيه يكون المخاطب متردداً في الحكم بين عليه أي: واضح أي من تساوي الأمران عنده، أي: اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة[3]. كما في المثال السابق (ما علي إلاَّ شاعر) أي كان المخاطب متردداً لا يدري أي الصفتين هي صفة عليّ، كان هذا القصر قصر تعيين.

**ومن طرق القصر:**

**١- القصر بالنفي والاستثناء:**

وهي أوسع طرائق القصر وأكثرها شهرة ودوراناً في كتاب الله، والنفي والإثبات أساسا أسلوب القصر ومن خلال هذا الأسلوب تظهر لنا تلك المعاني والصور المتصلة بأسلوب القصر وقيمته البلاغية، ويستخدم هذا الطريق فيما ينكره المخاطب ويدفعه، أو فيما يجهله ولا يعرفه، أو فيما يشك

---

(١) ينظر: مدارك التنزيل: ٢٩٥/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦٢٣/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦٠/٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ١١٩/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٩/١.

فيه ويرتاب[1].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى أن تظن إلاَّ ظناً قلت: أصله نَظُنُّ ظَنًّا ومعناه إثبات الظن حَسْبُ، وأدخِلَ صرفُ النفي والاستثناء ليُفاد إثبات الظن ونفي ما سواه ويزيدُ نفي ما سوى الظن توكيداً بقوله: «وما نحن بمستيقنين»»[2].

وهذا رأي النسفي وأبو حيان وغيرهم[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إن هي إلاَّ حياتنا» «إن» نافية، و«هي» مبتدأ، و«حياتنا» خبرها، ولم يكتفوا بمجرد الإخبار بذلك حتى أبرزوها محصورة في نفي وإثبات»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٥]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ومن يغفر» استفهامٌ معناه النفي، ولذلك وقع بعده الاستثناءُ»[5].

---

(١) ينظر: علم المعاني، د. بسيوني، ص٣١٠.

(٢) الدر المصون: ١٣٢/٦، وينظر: الكشاف: ٢٩٦/٤.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ١٣٤/٤، والبحر المحيط: ٥١/٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١١٤/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٣٧٣/١٧، والبحر المديد: ١١١/٧.

(٤) الدر المصون: ٤١/٣.

(٥) الدر المصون: ٢١١/٤.

**٢- القصر بـــ(إنَّما):**

إنَّ القول بإفادة (إنَّما) لمعنى القصر يكاد يجمع عليه جمهور اللغويين والنحاة والبلاغيين، ومعنى (إنَّما) «إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه...»[(١)].

وتحدث السَّمين الحلبي عن إفادة هذه الأداة لمعنى القصر في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «إنَّما نحن مصلحون» «إنَّ» حرفٌ مكفوفٌ بـــ«ما» الزائدة عن العمل، ولذلك تليها الجملةُ مطلقاً، وهي تفيد الحصرَ عند بعضهم. وأبعَدَ مَنْ زعم أن «إنَّما» مركبة من «إنَّ» التي للإثبات و«ما» التي للنفي، وأنَّ بالتركيب حدث معنىً يفيد الحصرَ»[(٢)].

**٣- القصر بالعطف:**

ويكون بين أمرين أو أكثر يراد إثبات قسم منها ونفي القسم الآخر وأدواته ثلاثة: (لا، بل، لكن). و(لا) النافية تحدّثَ عنها سيبويه عن القصر بالعطف في حديثه عن النعت وقد أفصح في إشاراته عن قصر القلب وقصر التعيين بقوله: «(مررت برجل راكع لا ساجد) فالعطف بلا الناهية هنا أفاده لإخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما»[(٣)]. و لم أجد شواهد عند السَّمين الحلبي لهذه الأداة.

وحرف العطف (بل) من الحروف العوامل ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني كما نص على ذلك الرماني[(٤)]. وإذا جاءت في القرآن الكريم

---

(١) لسان العرب، مادة (أنن).

(٢) الدر المصون: ١/١١٩.

(٣) الكتاب: ١/٤٣٠، وينظر: أسلوب القصر في القرآن الكريم، ص٩٨.

(٤) ينظر: معاني الحروف، ص٩٤، وأسلوب القصر في القرآن الكريم، ص٩٨-٩٩.

كانت تركاً لشيء وأخذاً في غيره، وأكثر ما تكون بعد الإنكار كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤٠-٤١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بل إياه تدعون» «بَلْ» حرف إضراب وانتقال، لا إبطال، لما عَرَفْتَ غيرَ مَرَّةٍ من أنَّها في كلام الله كذلك. و«إيَّاه» مفعول مقدم للاختصاص عند الزمخشري، ولذلك قال: «بل تخصونه بالدعاء»... وإن كان ثَمّ حصرٌ واختصاص فمن قرينة أخرى»[1].

أما (لكن) العاطفة فتكون مثقَّلة ومخفَّفة، وذهب الرماني مفرقاً بين المخفَّفة والمثقَّلة قائلاً: «إن المخففة غير عاملة، والمثقلة عاملة، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد»[2]. وتعطف ما بعدها على ما قبلها، وحكم المقصور عليه يكون بعدها ولا يعطف بـــ(لكن) إلاَّ بشروط ثلاثة وهي: أنْ يكون المعطوف مفرداً لا جملة. والثاني: ألا تكون مسبوقة بالواو مباشرة. والثالث: أنْ تكون مسبوقة بنفي أو نهي[3]. كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: من الآية ٤٦]، وقد فسّرها السَّمين الحلبي بالقول: «قوله: «التي في الصدور» صفة أو بدل أو بيان، وهل هو توكيد؛ لأنَّ القلوب لا تكون في غير الصدور، أو لها معنى زائد كما قال الزمخشري، الذي تعورف واعتقد أنَّ العمى في الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحرقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب

(١) الدر المصون: ٦١/٣.

(٢) معاني الحروف، ص١٣٣.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ٦١٧/٣.

استعارة، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة، ونفيه عن الإبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفصل تعريف لتقدير أنَّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار»[1].

**٤- القصر بتقديم ما حقه التأخير:**

والمقصور عليه في هذه الطريقة هو اللفظ المتقدم، وليس ثمة أداة خاصة بالقصر كما هو الشأن في الطرق الثلاث الأولى وإنما يُفهم القصر من خلال هذا التقديم، قال السيوطي: «إذا تأمَّل مَنْ له الذوق السليم في مفهوم الكلام الذي فيه التقديم فهم منه القصر، وإن لم يعرف أنه في اصطلاح البلغاء كذلك»[2].

ومنه تقديم المفعول كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]، قال السَّمين الحلبي ذاكراً رأي الزمخشري: «قال الزمخشري: كأنَّه قيل: ولاَ أقولُ إلاَّ الحقَّ يعني أن تقديم المفعول أفادَ الحصرَ»[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: من الآية ٣١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «جنود ربك» مفعول واجب التقديم لحصر فاعله»[4].

وهذا ما ذكره الزمخشري وأبو حيان[5].

---

(١) الدر المصون: ١٥٧/٥، وينظر: الكشاف: ١٦٣/٣.

(٢) شرح عقود الجمان، ص٤٥، وينظر: البلاغة من منابعها، ص١٢٩.

(٣) الدر المصون: ٥٤٦/٥، وينظر: الكشاف: ١١٠/٤.

(٤) الدر المصون: ٤١٨/٦.

(٥) ينظر: الكشاف: ١١٠/٤، والبحر المحيط: ٣٩٣/٧، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦٢/١٦.

# المبحث السابع

## الإيجاز والإطناب

### ◈ أولاً: الإيجاز:

**الإيجاز في اللغة**: قال صاحب اللسان: «وجز الكلام وجازه ووجزاً وأوجز: قل في بلاغة، وأوجزه اختصره. ويقال: أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز أي: خفيف مقتصر»[(١)].

وهو في **الاصطلاح البلاغي**: وعرفه الرماني قائلاً: «البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ»[(٢)].

وأسلوب الإيجاز من أهم خصائص اللغة العربية، فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب وكانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة، إذ نقل الجاحظ قول صحار بن عياش العبدي، عندما سأله معاوية بن أبي سفيان: ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال صحار: الإيجاز. ثم قال معاوية: وما الإيجاز؟ فأجاب: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ[(٣)].

وقال أبو عبيدة فيه: «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول»[(٤)].

وقسم علماء البلاغة الإيجاز على إيجاز قصر وإيجاز حذف.

---

(١) لسان العرب، مادة (وجز).

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص٧٤.

(٣) ينظر: البيان والتبيين: ٩٦/١.

(٤) مجاز القرآن: ١١١/١.

**١- إيجاز القصر:**

وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه[١]، أو هو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف، وقد فُسِّرت جوامع الكلم في الحديث: (أُوتيتُ جُوامِعَ الكَلِمِ)[٢] بأنها اجتماع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع حسن البيان والقدرة على الإيصال بأقرب طريق[٣].

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من الإيجاز في قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ما غشيهم» فاعل غشيهم وهذا من باب الاختصار وجوامع الكلم إلى ما يقل لفظها ويكثر معناها أي: فغشيهم ما لا يعلم كنهه إلاَّ الله تعالى»[٤].

وهذا رأي الزمخشري وأبي حيان والنيسابوري[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «وقال ابن عطية قوله: «ما لي لا أرى الهدهد» مقصد الكلام الهدهدُ غاب ولكنه أخذ اللازم

---

(١) ينظر: البيان والتبيين: ١٦/٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٧٤٠٣: ٣٦٦/١٢. وتكملة الحديث: «وَجُعِلَتْ لي الأرضُ مَسْجِداً وَطَهُورا».

(٣) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٥٦.

(٤) الدر المصون: ٤٥/٥.

(٥) ينظر: الكشاف: ٧٩/٣، والبحر المحيط: ٢٤٥/٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٦٣/٤.

عن مغيبه وهو أن لا يراه فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم، وهذا ضرب من الإيجاز»[1]. وهذا ما ذكره القرطبي وأبو حيان[2].

**٢- الإيجاز بالحذف:**

وعرَّفه ابن الأثير بقوله: «ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلاَّ فيما زاد معناه على لفظه»[3]. وقال عنه: «أما الإيجاز بالحذف فإنَّه عجيب الأمر أشبه بالسحر، وذلك أنَّك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيناً إذا لم تبيِّن»[4].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فقال ذاكراً رأي الزمخشري وابن عطية: «فَسَّر الزمخشري هذا الموضع فقال: واشكروا لي ما أنعمت به عليكم. وقال ابن عطية: واشكروا لي، واشكروني بمعنى واحد، و«لي» أفصح وأشهر مع الشكر، ومعناه نعمتي وأبادِيْ، وكذلك إذا قلت: شكرتك فالمعنى شكرت لك صنيعك، وذكرته فحذف المضاف؛ إذ معنى الشكر ذكر اليد وذكر مسديهما معاً، فما حذف من ذلك فهو اختصاراً لدلالة ما بقي على ما حذف»[5].

---

(١) الدر المصون: ٣٠٤/٥، وينظر: المحرر الوجيز: ٣٠٤/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧٩/١٣، والبحر المحيط: ٦١/٧.

(٣) المثل السائر: ٧٨/٢.

(٤) المثل السائر: ٨١/٢.

(٥) الدر المصون: ٤١٢/١، وينظر: الكشاف: ٢٣٢/١، والمحرر الوجيز: ٢١٢/١.

وهذا ما نص عليه أبو حيان ناقلاً كلام الزمخشري[1].

**◈ ثانياً: الإطناب:**

**الإطناب لغةً**: جاء في اللسان: «الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه... وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد»[2].

والإطناب **في اصطلاح البلاغيين**: عرَّفه الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وأن يخبر المطلوبَ بمعنى المعشوق بكلام طويل، لأنَّ كثرة الكلام عند المطلوب مقصوده، فإنَّ كثرة الكلام توجب كثرة النظر، وقيل: الإطناب: أن يكون اللفظ زائداً على أصل المُراد»[3].

واقترن موضوع الإطناب مع موضوعي الإيجاز والمساواة عند علماء البلاغة، وذلك لأنَّ فيها فوائد بلاغية جَمَّة، لذلك قالوا في تعريف البلاغة إنها إيجاز من غير خلل أو إطناب من غير خطل، ولذلك قال العسكري: «إنَّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن وجهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ»[4].

وينبغي أن نفرق بين الإطناب وبين الحشو والتطويل، فالإطناب بلاغة

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١/٦٢٠.

(٢) لسان العرب، مادة (طنب).

(٣) التعريفات، ص٢٥.

(٤) كتاب الصناعتين، ص١٩٠.

وليس التطويل كذلك، قال العسكري: «الإطناب بلاغة والتطويل عيٌّ؛ لأنَّ التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة»[1].

وهناك أسباب تدفع المتكلم إلى سلوك الإطناب منها توضيح المراد، والتوكيد وتثبيت المعنى في نفس السامع ودفع الإيهام وغير ذلك، وقد حدَّد علماء البلاغة أنواع الإطناب ذكرها مفسرنا السَّمين الحلبي في تفسيره موضحاً لكل نوعٍ منها وهي كما يأتي:

**١- الإيضاح بعد الإيهام:**

ذكر القزويني أنَّ هذا النوع من الإطناب يؤتى به: «ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكُّنٍ، فإنَّ المعنى إذا ألقي مبهماً، تاقت نفس السامع إلى معرفته مبيناً، أو لتكمل لذة العلم به»[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «و«ذلك» إشارة إلى مبهم يُفسِّره «هو علي هين» ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]»[3].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[4].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٢) التلخيص، ص١٢٥.

(٣) الدر المصون: ٤٩٣/٤، وينظر: الكشاف: ٨/٣.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٦١/٢١، ومدارك التنزيل: ٣٢/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٥/٢، والبحر المحيط: ١٦٦/٦، وأنوار التنزيل: ٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٥٧/٥.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأحقاف: من الآية ٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «من الأرض» هذا بيان للإبهام الذي في قوله: «ماذا خلقوا»»[١].

وهذا قريب من رأي أبي حيان الذي قال: ««من الأرض» تفسير للمبهم في «ماذا خلقوا». والظاهر أنَّه يريد من أجزاء الأرض، أي: خلق ذلك إنَّما هو الله»[٢].

**٢- ذكر الخاص بعد العام:**

قال القزويني في هذا النوع من الإطناب: «وأما بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسِهِ، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلةَ التغاير في الذات»[٣].

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، قال السَّمين الحلبي: «وذكر جبريل وميكال بعد اندراجهما أولاً؛ تنبيهاً عل فضلهما على غيرهما من الملائكة، وهكذا كل ما ذكر: خاص بعد عام، وبعضهم يسمي هذا النوع بالتجريد كأنَّه يعني به أنه جرد من العموم الأول بعض إفراده اختصاصاً له بمزية، وهذا الحكم -أعني الخاص بعد العام- مختص بالواو لا يجوز في غيرها من حروف العطف»[٤].

---

(١) الدر المصون: ١٣٤/٦.

(٢) البحر المحيط: ٥٥/٨.

(٣) التلخيص، ص١٢٥.

(٤) الدر المصون: ٣١٥/١.

وقال ابن جزي: «... ذكرا بعد الملائكة تجديداً للتشريف والتعظيم»[1].
وقال الشوكاني: «وإنَّما خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد الملائكة لقصد التشريف لهما، والدلالة على فضلهما»[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» من باب ذكر الخاص بعد العام اعتناءً به»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

**٣- ذكر العام بعد الخاص:**

قال السيوطي فيه: «وأنكر بعضهم وجوده والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وإفراد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه»[4]. ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» بعد قوله: «ويعلمكم الكتاب والحكمة» من باب ذكر العام بعد الخاص، وهو قليل بخلاف عكسه»[5].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٥٥.
(٢) فتح القدير: ١/٨٣.
(٣) الدر المصون: ٢/١٨١.
(٤) الإتقان: ٣/١٨١.
(٥) الدر المصون: ١/٤١١.

وهذا قريب من رأي أبي حيان الذي قال: «... وهو ذكر عام بعد خاص، لأنهم لم يكونوا يعلمون الكتاب ولا الحكمة»[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «ويعلم ما في السماوات وما في الأرض» من باب ذكر العام بعد الخاص وهو «ما في صدوركم»»[2].

وبين أبو السعود هذا العطف قائلاً: «كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيداً له وتقريراً»[3].

وأمثلته متعددة[4].

**٤- التأكيد:**

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: من الآية ٧٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بأيديهم» متعلق بيكتبون، ويبعُد جعله حالاً من «الكتاب»، والكتابُ هنا يعنى المكتوب، فنصبهُ على المفعول به، ويبعُدُ جعله مصدراً على بابه، وهذا من باب التأكيد فإنَّ الكتبة لا تكون بغير اليد، ونحوه: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام: من الآية ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ [سورة آل عمران: من الآية ١٦]. وقيل:

---

(١) البحر المحيط: ٦١٨/١، واللباب في علوم الكتاب: ٧٤/٣.

(٢) الدر المصون: ٦٢/٢.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٢٣/٢.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٣٣٦/٦، و٥٨٥/٦.

فائدةُ ذكره أنَّهم باشروا ذلك بأنفسهم و لم يأمروا به غيرهم، فإنَّ قولك: فَعل فلان كذا يحتمل أنَّه أمر يفعله و لم يباشره، نحو: بنى الأمير المدينة، فأتى بذلك رفعاً لهذا المجاز. وقيل: فائدته بيانُ جرأتهم ومجاهرتهم، فإنَّ المباشر للفعل أشد مواقعةً ممن لم يباشره. وهذان القولان قريبان من التأكيد، فإنَّ أصل التأكيد رفع توهم المجاز»[1].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور بين المفسرين[2].

**٥- التكرار:**

وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية؛ وقد تعرَّض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين فقال الفرّاء: «والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف»[3]. وإذا كان التكرار لغرض بلاغي فهو إطناب وإلا فهو مذموم؛ لأنه يقدح في الفصاحة. ويأتي التكرار لأغراض كثيرة أذكر منها ما جاء عند مفسرنا السَّمين الحلبي في تفسيره وهي:

أ - **التكرار للتأكيد:** نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا**﴾ [الأحزاب: ٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ميثاقاً غليظاً» هو الأول وإنَّما

---

(١) الدر المصون: ٢٧١/١.

(٢) ينظر: الكشاف: ١٨٥/١، ومدارك التنزيل: ٥٤/١، والبحر المحيط: ٤٤٣/١، وأنوار التنزيل: ٣٥٠/١، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠٨/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٢٠/١.

(٣) معاني القرآن: ٢٨٧/٣، وينظر: ١٧٧/١، ٣٤٢/٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٣٦/١.

كرر لزيادة صفته وإيذاناً بتوكيده»[1].

وذكر البيضاوي غرض التعظيم لهذا التكرار قائلاً: «والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيماً لهُ»[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «خلقهن العزيز» كَرَّرَ الفعل للتوكيد؛ إذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافياً كقولك: مَنْ قَامَ؟ فيقال: زيدٌ»[3].

وهو قريب من رأي أبي حيان الذي قال: «وكرر الفعل في الجواب في قوله: «خلقهن العزيز العليم» مبالغة في التوكيد»[4].

وأمثلته متعددة[5].

**ب- التكرار للمبالغة**: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «وإنَّما كرر الفعل في قوله: «وما يستوي الأحياء» مبالغة في ذلك؛ لأنَّ المنافاة بين الحياة والموت أتم من المنافاة المتقدمة»[6].

---

(١) الدر المصون: ٤٠٤/٥.

(٢) أنوار التنزيل: ٣٦٥/٤.

(٣) الدر المصون: ٩٢/٦.

(٤) البحر المحيط: ٨/٨.

(٥) ينظر: الدر المصون: ١٩٧/١، و٤٢١/١-٤٢٢، و٥١/٢، و٥٢/٣.

(٦) الدر المصون: ٤٦٥/٥.

وهذا ما ذكره ابن عادل والشربيني والنيسابوري[1]، قال البيضاوي: «تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل»[2].

**ج- التكرار للتقرير**: نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، قال السَّمين الحلبي: «... والقول فيه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى... لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب»[3].

وهذا ما ذكره الزمخشري والرازي وغيرهم[4]، وذهب ابن عطية إلى غير هذا الغرض قائلاً: «وكرر تعالى ذلك مبالغة وتثبتاً للخير»[5] وتبعه ابن جزي[6]، وقال البيضاوي: «تكرير للتأكيد»[7].

**د- التكرار للتعظيم**: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٢٤/١٦، وتفسير السراج المنير: ٢٦٨/٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥١٢/٥.

(٢) أنوار التنزيل: ٤١٧/٤.

(٣) الدر المصون: ٥٤١/٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٧٧٦/٤، والتفسير الكبير: ٧/٣٢، وتفسير السراج المنير: ٤٠٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ١٧٣/٩، وروح المعاني: ١٧٠/٣، وصفوة التفسير: ١٧٠/٣٠.

(٥) المحرر الوجيز: ٤٦٨/٥.

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٣٧/٣.

(٧) أنوار التنزيل: ٥٠٥/٥.

﴿وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وصدق الله ورسوله» مِنْ تكرير الظاهر تعظيماً كقوله:

أرَى المَوْتَ لاَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ .....[١]

ولأنه لو أعادها مضمرين تجمع بين اسم البارئ تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة فكان يقول وصَدَقَا والنبي ﷺ قد كَرِهَ ذلك...»[٢].

**٦- الاحتراس أو التكميل:**

وقال فيه القزويني: «الإطناب بالتكميل أو الاحتراس هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[٣]، ومفسرنا السَّمين الحلبي فهم هذا المصطلح البلاغي فقد قال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢]: «وقوله: «من غير سوءٍ» يسمى عند أهل البيان الاحتراس، وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم من يتوهم غير المراد. وذلك أن البياض قد يراد به البرص والبهق، فأتى بقوله: «من غير سوءٍ» نفياً لذلك»[٤]. وتعريف السَّمين الحلبي لا يخرج عن آراء علماء البلاغة وأقوالهم في تعريف الاحتراس.

وهو قريب من رأي أبي حيان الذي قال: «ويقال له عند أرباب البيان احتراس؛ لأنه لو اقتصر على قوله «بيضاء» لأوهم أنَّ ذلك من برص أو بهق»[٥].

---

(١) لم أعثر على قائله.

(٢) الدر المصون: ٥/٤١٠.

(٣) الإيضاح: ١/٢٠٢.

(٤) الدر المصون: ٥/١٥.

(٥) البحر المحيط: ٦/٢٢٢.

وهذا ما ذكره الزركشي[1].

**٧- التتميم:**

عرفه القزويني بقوله: «هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة»[2].

وقد عرفها السَّمين الحلبي بقوله: «التتميم وهو نوع من علم البديع، وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى تدفع عنها اللبس وتقربها من الفهم»[3].

ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «العزة بالإثم» التتميم وهو نوع من علم البديع... وذلك أنَّ العزة تكون محمودة ومذمومة. فمن مجيئها محمودة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، فلو أطلقت لتوهم فيها بعض من لا عناية له المحمودة فقيل: «بالإثم» تتميماً للمراد فرفع اللبس بها»[4].

**٨- الاعتراض:**

جاء في اللسان: «يقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي: حال دونه، واعترض فلان الشيء: تكلفه، واعترض عرضه: نحا نحوه، واعترض له بسهم:

---

(١) البرهان، ص٦٦٢.

(٢) الإيضاح: ١/١٩٤، والتلخيص، ص٢٣٠.

(٣) الدر المصون: ١/٥٠٧.

(٤) الدر المصون: ١/٥٠٧.

أقبل قبله فرماه فقتله»[1].

وهي عند البلاغيين: « أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة»[2].

وذكر السَّمين الحلبي أمثلة كثيرة للاعتراض في تفسيره أذكر منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، قال السَّمين الحلبي: «أما هذه الآية فيحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ جملة اعتراض؛ لأنَّ فيها تأكيداً وتسديداً للكلام، وجملةُ الاعتراض تقعُ بين الصفةِ وموصوفها كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ -لَّوۡ تَعۡلَمُونَ -عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٦] فـ«عظيم» صفةٌ لـ«قَسَم»، وقد فصل بينهما بقوله: «لو تعلمون» فكذلك فَصَلَ هنا بين قوله: «بقوم» وبين صفتهم وهي «أذلة-أعزة» بقوله: «يحبهم ويحبونه»، فعلى هذا لا يكون لها محلٌّ من الإعراب»[3].

وهذا ما ذهب إليه أبو السعود[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢]، قال السَّمين الحلبي:

---

(١) لسان العرب، مادة (عرض).

(٢) ينظر: الإيضاح: ١/١٩٤.

(٣) الدر المصون: ٢/٥٤٨.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/٥٢.

«قوله: «والمؤمنون» عطفٌ على «الراسخون» وفي خبره الوجهان المذكوران في خبر «الراسخون»، ولكن إذا جعلنا الخبر «أولئك سنُؤتيهم» فيكون يؤمنون ما محلُّه؟ والذي يظهر أنَّه جملة اعتراض؛ لأنَّ فيه تأكيداً وتسديداً للكلام، ويكون الضمير في «يؤمنون» يعود على «الراسخون» و«المؤمنون» جميعاً»[1]. و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي. وأمثلته كثيرة[2].

### ◈ تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلاف ذلك لنكتة أو سبب من الأسباب. ولهذا الخروج أساليب مختلفة منها: وضع الظاهر موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمر،...[3] وتكون مراعاة لحال المخاطب.

### ١- وضع الظاهر موضع المضمر:

قال القزويني في معرض حديثه على هذا المصلح: «ويوضع المظهر موضع المضمر فإن كان المظهر اسم إشارة فذلك إما لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع... وإما للتهكم بالسامع... وإما للنداء على كمال بلادته... وإما لكمال فطانته... وإن كان المظهر غير اسم إشارة فالعدول إليه

---

(١) الدر المصون: ٤٦١/٢.

(٢) ينظر: الدر المصون: ١٠٣/١، ١٣٩/١، ٢٧٢/١، ٣٢٠/١، ٣٤٣/١، ٥٧٣/١، ٧٥/٢، ١١١/٢، ٣٩١/٢، ٣٠٢/٣، ٩٦/٤، ٤٢٢/٥، ٨٧/٦، ٢٠٠/٦، ٢٦٣/٦، ٤٠٤/٦، ٥١٠/٦.

(٣) ينظر: شرح عقود الجمان، ص٢٧، وحلية اللب، ص٧٠، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٣/٢.

عن المضمر إما لزيادة التمكين.. وإما لإدخال الروع في نفس السامع وتربيته المهابة وإما لتقوية داعي المأمور»[1].

وقد أشار إليه السَّمين الحلبي بأمثلة كثيرة في تفسيره محللاً إياه وذاكراً لأغراضه البلاغية ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «على الذين ظلموا» فأعادهم بذكرِهم أولاً، ولم يقلْ «عليهم» تنبيهاً على أنَّ ظلمهم سببٌ في عقابهم، وهو من إيقاع الظاهر موضع المضمر لهذا الغرض»[2]. فذكر أنَّ غرض إيقاع الظاهر موضع المضمر هو التنبيه. وذكر أبو السعود غرض المبالغة قائلاً: «وإنَّما وضع الموصول موضع الضمير العائد إلى الموصول الأول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسهم بتعريضها لسخط الله»[3].

وبعد ذلك بين السَّمين الحلبي أضرب إيقاع الظاهر موقع المضمر قائلاً: «وإيقاع الظاهر موقعَ المضمرِ على ضربينِ: ضربٍ يقع بعد تمامِ الكلام كهذهِ الآية -يقصد سورة البقرة: ٥٩- وقول الخنساء:

تَعَرَّقَنِي الدَّهرُ نَهْساً وحَزَّاً وأوجَعَنِي الدَّهرُ قَرعاً وغَمْزَا[4]

أي: أصابتني نوائبه جُمَعُ، وضربٍ يقعُ في كلامٍ واحد نحو قوله:

---

(١) الإيضاح: ٧٢/١، ومفتاح العلوم، ص٨٥، وكتاب الكليات، ص١٦٤٠.

(٢) الدر المصون: ٢٣٥/١.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٠٥/١.

(٤) ديوانها، ص١٤٣.

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١]. وقول الآخر:

ليتَ الغُرابَ غداةَ ينعَبُ دائبــاً كان الغرابُ مُقطَّعَ الأوداجِ[1]

وقد جمع عديُّ بنُ زيدٍ بين المعنيين فقال:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء نغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفَقيرا[2]»[3]

ومن إيقاع الظاهر موقع المضمر لغرض التوكيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، قال السَّمين الحلبي: «وتضمنت -أي هذه الآية الكريمة- من المعاني التوكيد: بإيقاع الظاهر موقع المضمر في قوله: «تؤتي الملك... الخ»[4].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومن إيقاع الظاهر موقع المضمر لغرض التوكيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ [التوبة: من الآية ٦٩]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «كما استمتع الذين» إيقاعٌ للظاهر موقع المضمرِ لنكتةٍ: وهو أن كان الأصل: فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتعونا بخلاقهم، فأبرزهم بصورة الظاهر تحقيراً لهم»[5].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) البيت لجرير، وهو في ديوانه، ص٨٩.

(٢) ديوانه، ص٦٥.

(٣) الدر المصون: ١/٢٣٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢/٥٨.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٤٨٣.

وأمثلته كثيرة[1].

**٢- وضع المضمر موضع الظاهر:**

يوضع المضمر موضع الاسم الظاهر: «ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف يكون فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة»[2].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [يونس: من الآية ٦١]، قال السَّمين الحلبي: «والضمير في «منه» عائد على «شأن» و«من قرآن» تفسير للضمير وخصَّ من العموم؛ لأنَّ القرآن هو أعظم شؤونه ﷺ وقيل: يعود على التنزيل: وفسَّر القرآن؛ لأنَّ كل جزء منه قرآن، وإنَّما أضمر قبل الذكر تعظيماً له»[3].

وهذا ما ذكره أبو حيان[4].

وأمثلته متعددة[5].

**٣- إشارة البعيد إلى القريب:**

ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/١٨٤، ٢/١٢٤، ٣/١٤، ٣/٢٧١، ٣/٤٦٦، ٣/٥٠٨، ٥/٤، ٦/٦١، ٦/٨٧، ٦/٢٠٢، ٦/٢٢٨، ٦/٣١٤.

(٢) الإيضاح: ١/٧١، ومفتاح العلوم، ص٨٥، وكتاب الكليات، ص١٦٤٠.

(٣) الدر المصون: ٤/٤٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥/١٧١، واللباب في علوم الكتاب: ١٠/٣٦٢.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٣/٤١، ٥/١٨٦، ٦/١٣١.

﴿وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «وأتى باسم إشارة البعيد تعظيماً للمشار إليه، لأنَّ المشار إليه قريب»[١].

وهذا قريب من رأي أبو حيان[٢].

ومن أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ﴾ [يوسف: من الآية ٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فذلكن» مبتدأ والموصول خبره، أشارت إليه إشارة البعيد، وإن كان حاضراً تعظيماً له ورفعاً منه»[٣].

وهذا ما ذكره أبو حيان[٤].

(١) المصدر نفسه: ٥٦٨/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٢١/٢.

(٣) الدر المصون: ١٨٠/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٢٥١/٥.